الاقتصاد البلشفي الكندي

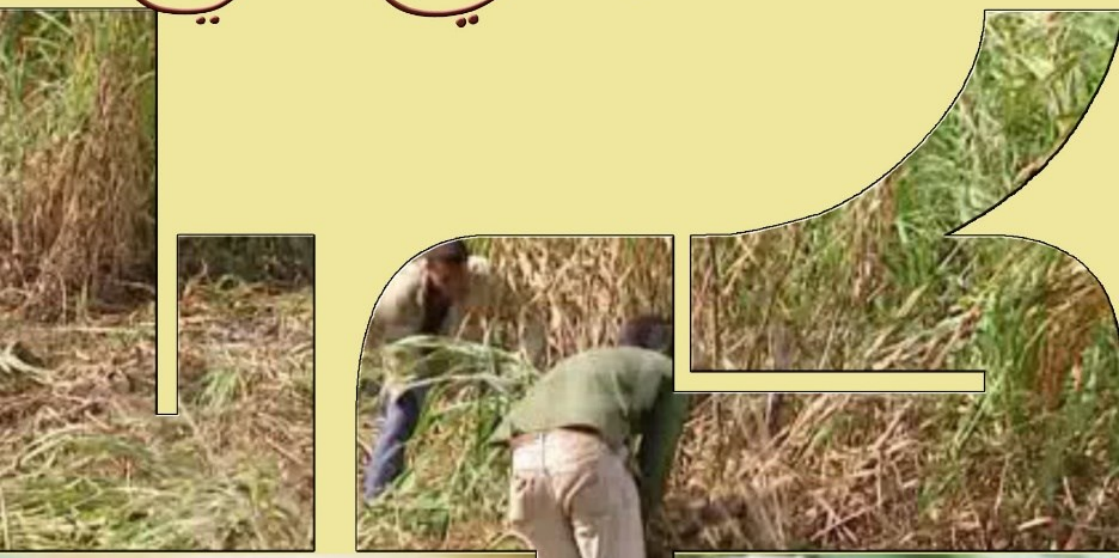

ثورة حلوة طعمها مر

ترجمة محمد علي العربي

يا عمال العالم، اتحدوا

طريق البلشفيّة

موقع أممي للإعلام البلشفي باللسان العربي

الاتحاد البلشفي الكندي

كوبا: ثورة حلوة طعمها مر

ترجمة

محمد علي العربي

النشر البلشفي العربي

القيروان، جويلية 2020

عنوان الكتاب الأصل

Cuba : le goût amer d'une révolution sucrée

Une publication de l'Union Bolchévique du Canada

© 1984 *Lignes de Démarcation*

C .P. 892, Succ. Tour de la Bourse
Montréal, Québec, Canada, H4Z 1K2

المحتويات

القسم الأول – عشرون عاما من "بناء الاشتراكية"..... 5
كوبا: قسط السكر ينتقل من أمريكا إلى روسيا..... 5
كوبا: من قسط من السكر إلى قسط آخر..... 9
كوبا: درة الأرخبيل عند الإمبريالية الأمريكية..... 10
"قفزة" غيفارى "الكبرى إلى الأمام"..... 14
الحصاد الكبير عند كاسترو: قفزة كبيرة إلى الوراء..... 17
"الأسعار التفاضلية" الروسية..... 19
مفهومان للأممية البروليتارية..... 22
«المدارس لوحدها لا تفي بالغرض» – ستالين..... 27
التخلي عن مواقف البروليتاريا ليس "خيارا"..... 28
القسم الثاني – التخاريف النظرية عند غيفارا وكاسترو ودوبراي..... 33
من هو فيديل كاسترو؟..... 34
كيف انقلب كاسترو "شيوعيا"..... 35
الغيفارتية..... 38
الغيفارتية وانكار دور البروليتاريا القيادي..... 40
تحالف البروليتاريا والفلاحين..... 43
الغيفارتية شكل من أشكال المنشفية..... 45
البلشفية وحرب الأنصار..... 48
غيفارا و"النظام الاقتصادي العالمي الجديد"..... 52
الكاسترية تدفن البروليتاريا..... 55
دوبراي "ينظّر" ضد النظرية..... 58
الكاسترية: مذهب الزعامة في أيامنا..... 59
القسم الثالث – وتظل البلشفية أنموذج تكتيك للجميع..... 62
المرحلة الجديدة من الأزمة العامة في النظام الرأسمالي العالمي..... 63
الحزبان الصيني والألباني مع الروس في نفس مستنقع "المرحلة الجديدة"..... 67
كوبا موطأ قدم عسكرية روسية سرية ضد الصين..... 71
مغامرة كاسترو في إفريقيا..... 74
لنفضح الكاسترية، لنرد الاعتبار للبلشفية!..... 76

القسم الأول – عشرون عاما من "بناء الاشتراكية"

كوبا: قسط السكر ينتقل من أمريكا إلى روسيا

لقد رصدنا منذ عدة سنوات ظهور أوضاع ثورية في أمريكا اللاتينية وبالأخص في بلدان أمريكا الوسطى ومنطقة حوض الكاريبي. فقد جرى اختراق الهيمنة الأمريكية التي لا منازع لها في هذه المنطقة. فبعد سقوط سوموزا وتركيز نظام معاد لأمريكا في ماناغوا، انتشر الغليان الثوري في السلفادور وغواتيمالا والهندوراس، الخ. ولقد تحولت المنطقة بأسرها إلى بركان ثوري هائل. إن عمال وفلاحي أمريكا اللاتينية ينزعون قيودهم ويتصدع كامل بناء الإمبريالية الأمريكية ويترنح.

هذه المنطقة هي بمثابة مفتاح عند الإمبريالية الأمريكية. فهي تسمح بمراقبة قناة بنما وهي الصلة الحيوية بين ضفتي الولايات المتحدة الأمريكية الشرقية والغربية، وبمراقبة حوض الكارايبي حيث يمر نصف صادرات وواردات الولايات المتحدة الأمريكية بما في ذلك ثلاثة أرباع النفط. وتمثل هذه المنطقة أيضا سوقا تصل قيمة المعاملات فيه سبعة مليارات دولارا، ومصدرا لا ينضب من المواد الأولية واليد العاملة بخسة الثمن.

إن البرجوازية الأمريكية منقسمة بسبب ما يجب اعتماده من وسائل لمواجهات حركات جماهير العمال والفلاحين الساخطين. فمنها فئات تبشر بالتفاهم وبطريقة التنازلات مثلما ظهر ذلك خلال سقوط سوموزا. في حين لا تقبل فئات أخرى منها أن تقوم بأي تنازل وتساند سحق الحركة الثورية بالقمع السافر والإرهاب الأبيض. فهي ترى أن ليس الروس لوحدهم، وإنما أيضا القوى الأوروبية واليابان، جميعهم يسعى إلى التحالف مع القيادات

الإصلاحية في االحركات الثورية قصد توسيع مجال نفوذها في تلك المنطقة على حساب الإمبريالية الأمريكية.

وبالفعل فمصالح مختلف القوى الامبريالية تتصادم لا في تلك المنطقة فحسب، بل في كامل المعمورة. فبسبب التطور غير المتكافئ عند القوى الإمبريالية وهو ما يحدد ضرورة إعادة تقاسم فيما بينها لمصادر المواد الأولية والأسواق ومناطق النفوذ، وهي إعادة تقاسم تضع حربا إمبريالية جديدة على جدول أعمالها. ومن الطبيعي أن يكون لكل قوة إمبريالية خطتها وحساباتها حتى تندلع الحرب في المكان والزمان الأكثرا ملاءمة. ومن البديهي ألا تريد الولايات المتحدة الأمريكية حربا في أمريكا الوسطى وفي حوض الكرايبي. ولهذا السبب، هي تسعى إلى "احلال السلام" في تلك المنطقة بأقصى سرعة ممكنة عبر قسط من القمع وآخر من المساومة.

لكن ما بلغته الأزمة الاقتصادية الحالية من مدى وتناقضات مختلف البرجوازيات من احتداد إنما يجعل أي "حل" إمبريالي مهترئا. فالمساومة والقمع، عوض إخماد اللهيب الثوري، إنما يزيد من إثارته. والحريق ينتشر من بلد إلى آخر ويهدد اليوم باكتساح المكسيك ليكون بذلك على مشارف القلعة الأمريكية نفسها.

المكسيك اليوم على حافة الإفلاس، وعليه دين هائل تفيق قيمته ثمانين مليار دولار، ما يجعل دين بولونيا أمامه ضئيلا. وتجبر الحكومة المكسيكية على ترك نعرتها القومية والسجود لصندق النقد الدولي. وكمحاولة لتفادي الإنفجار الإجتماعي، تشجع الحكومة المكسيكية سرا ملايين العاطلين المكسيكيين على الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية. لكن الإمبريالية الأمريكية تغلق حدودها في وجه العاطلين المكسيكيين، تماما مثلما تغلق الحكومة المكسيكية حدودها في وجه فلاحي غواتيمالا. لكن القمع المسلط على جماهير العمال الفلاحين لا يمنع تسلل شرارة ثورية الحدود وأن توقد اللهيب داخل المكسيك، وحتى داخل أمريكا.

فمعقل الإمبريالية العالمية وقلعتها إنما هي مفخخة من الداخل. وإن ملايين المهاجرين من سكان أمريكا اللاتينية والأرخبيل وحوض الكرايبي والمكسيك، الذين امتصت

البرجوازية الأمريكية دماءهم حتى تشيد إمبراطوريتها، يرفضون الخضوع في صمت وينشرون عدوى التمرد في جهات أمريكا الشمالية الأربع. وتجد قضيتهم ترحيبا كبيرا عند الأمة السوداء المضطهدة التي عانت من الأزمة الاقتصادية وقريبا ستكون مستعدة حتى تجعل البرجوازية الأمريكية تدفع ثمن قرون من الاستعباد. فقد أصبحت الولايات المتحدة حقا سجنا للشعوب مثلما كانت روسيا القيصرية. وسيكون لها ذات المصير الذي كان لروسيا القيصرية.

ويصبح هذا الأفق أكثر واقعية إذ نرى اليوم، وعلى نحو ملموس بأكبر قدر، إمكانية الصلة الضرورية بين الحركات الوطنية لدى الشعوب المضطهدة والبروليتاريا البيضاء الأمريكية. فالجرائد البرجوازية تتحدث منذ مدة عن "تكون بروليتاريا بيضاء في الولايات المتحدة الأمريكية". وهم إنما يقصدون من ذلك فقدان إمتيازات الأرستقراطية العمالية. فقد استطاعت البرجوازية الأمريكية، بفضل سعة نهبها لموارد العديد من البلدان، واستغلال، إلى أقصى حد، الشعوب والأمم المضطهدة خارج الولايات المتحدة الأمريكية وداخلها، أن تفسد بتراكم فائض الأرباح، فئات واسعة من البروليتاريا الأمريكية. واليوم ولى ذلك الزمن. فبسبب منافسة القوى الإمبريالية الأخرى ومقاومة الشعوب الأخرى أصبح فائض الأرباح شحيحا. فالكعكة أضحت أصغر والفتات المتساقط منها أضحى نادرا. وإن آلاف العمال كانوا في فروع صناعية كانت مزدهرة لزمن طويل كصناعة السيارات يجدون أنفسهم اليوم مضطرين لقبول تقليص أجورهم أو الرمي بهم في جيش العاطلين. والجرائد مملوءة تقارير عن الفقر وعودة وجبة "الحساء الشعبي" والعصابات، الخ. إن سحبا سوداء داكنة كالتي كانت في سنوات الثلاثين من القرن العشرين شرعت تتجمع.

لكن ذلك لا يعني أبدا أن الأرستقراطية العمالية قد اندمجت نهائيا في البروليتاريا وأن الشوفينية قد اختفت. لا. لكن الظروف الموضوعية شرعت تتغير بقدر يجعلنا نرصد إمكانية إعادة تركيز التحالف بين البروليتاريا الأمريكية وحركات الوطنية عند الشعوب المضطهدة وخاصة عند تلك التي تضطهدها الإمبريالية الأمريكية. إن تطور الأزمة الاقتصادية والحرب الإمبريالية الوشيكة سيوسعان كثيرا من تلك الآفاق الثورية. فما كانت تظهر على أنها قلعة الإمبريالية المنيعة لم تعد كذلك.

العملاق يترنح فوق أساسه لكنه لا يسقط من تلقاء نفسه. وإنما فقط تحالف متين بين البروليتاريا الأمريكية والحركات الثورية عند الشعوب والأمم المضطهدة سيمكن من انتصار الثورة والإطاحة بالإمبريالية الأمريكية. فإن ثورة ديمقراطية حقيقية وتحولها إلى دكتاتورية البروليتاريا لا يمكن لها أن تقوم وأن تتقوى في منطقة حوض الكارايبي وأمريكا الوسطى دون سند حازم من جانب البروليتاريا الأمريكية. والعكس بالعكس، فالثورة البروليتارية في الولايات المتحدة الأمريكية أمر مستحيل دون سند نشيط من جانب الشعوب والأمم المضطهدة داخل الولايات المتحدة الأمريكية وفي المناطق المحيطة بها. لكن، حتى يكون بالمستطاع تركيز تحالف من ذلك القبيل، يجب أن يكون للبروليتاريا هيئة أركانها، أي حزبها البلشفي، الذي يستطيع أن يسير بها في منعرجات الثورة. «لا حركة ثورية دون نظرية ثورية»، ذلك ما قاله لينين منذ 1902. ولم تفقد هذه البديهية شيئا من صحتها إلى اليوم. وإنها لمهمة الشيوعيين الثوريين أن يصوغوا هذه النظرية الثورية مستندين على اللينينية، أي

> ماركسية عصر الإمبريالية والثورة البروليتارية، (ستالين: أسس اللينينية، تمهيد)

والتي تظل

> أنموذج تكتيك للجميع. (لينين: الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي، ما الأممية؟)

فعلى الشيوعيين الثوريين أن يصوغوا هذه النظرية عبر تطبيق اللينينية على الظروف الملموسة في بلدانهم وفي العالم، ولكن أيضا عبر نقد الحلول الخاطئة والنظريات الخاطئة والتي لا يمكن أن تنتهي بالحركة إلا إلى طريق مسدود.

فلهذا السبب يبدو تناول القضية الكوبية والغيفارتية والكاستروية في غاية الأهمية اليوم. ولقد كان للثورة الكوبية تأثيرا كبيرا على النطاق العالمي، وبالأخص على جماهير أمريكا اللاتينية. فالجماهير الشعبية الكوبية إذ أطاحت بباتيستا وصدت احتلال خليج الخنازير ووقفت ندا للإمبريالية الأمريكية، فإنها تكون بذلك قد طبعت كامل أمريكا اللاتينية بطابعها

الثوري وكسبت حركة تضامن واسعة. لكن أراد القادة الكوبيون أن يعطوا لونا متميزا لذلك الدعم فأعلنوا أن كوبا يجب أن تكون نموذجا لجميع بلدان أمريكا اللاتينية في حل قضايا الهيمنة والاستعباد. وصاغوا أيضا تجربتهم الثورية في هيئة نظرية وحاولو فرضه كنموذج تكتيك على جميع الثوريين في أمريكا اللاتينية. واليوم وقد مضت عشرون سنة على انتصار الثورة الكوبية وعشية صدامات ثورية جديدة، وجب علينا أن نتثبت بتمعن فيما إذا كان القادة الكوبيون قد أوفوا بوعودهم، وما إذا كان من الممكن أن تكون كوبا نموذج تكتيك.

كوبا: من قسط من السكر إلى قسط آخر

تنهض الجماهير وتشن هجوما على السلطة عندما لا يعود في مستطاعها تحمل نير الاستغلال والاضطهاد. فهي تنهض لتغيير المجتمع قصد تحسين وضعها المادي والثقافي، الخ. ولقد استطاع القادة الكوبيون أن يستغلوا سند أغلبية السكان الساحقة لأنهم وعدوا بمثل ذلك التغيير. فقد انخرطوا في تحطيم هياكل الإستغلال وانهاء التبعية للإمبريالية. وبعد سنوات من إنتصار الثورة، أعلنوا عن تصميمهم على الانخراط في بناء نظام اقتصادي جديد، هو الاشتراكية، وقانونه الاقتصادي الأساسي هو:

> تأمين تلبية الحد الأقصى من حاجات كل المجتمع المادية والثقافية النامية بغير انقطاع، وذلك عن طريق زيادة وإتقان الإنتاج الاشتراكي بصورة دائمة، على أساس تكنيك أرقى. (ستالين: القضايا الاقتصادية للاشتراكية في الاتحاد السوفييتي، دار الفارابي، 1954.)

وكان بديهيا ألا يكون هدفا من ذلك القبيل سهل البلوغ في بضع سنوات نظرا لما كانت عليه ظروف كوبا غداة الثورة. لكن اليوم، وقد مضت أكثر من عشرين سنة على الثورة، أصبح من الممكن التثبت من الطريق الذي سلكت والوقوف على النتائج أو على الأقل تقدير الاتجاه العام. هل حلت القضايا الهيكلية؟ هل أطيح بالتبعية للإمبريالية؟ وهل من الممكن تلبية حاجيات المجتمع المادية والثقافية دائمة النمو تلبية بأقصى حد؟

وحتى يكون من الممكن إنجاز تقييما من ذلك القبيل، وجب أن نستعرض الوضع قبل الثورة.

كوبا: درة الأرخبيل عند الإمبريالية الأمريكية

كانت كوبا عام 1959 شبه مستعمرة للولايات المتحدة الأمريكية. وكانت الاستثمارات الأمريكية تبلغ مليار دولارا. ويمثل ذلك 11% من مجمل الاستثمارات الأمريكية في أمريكا اللاتينية. وبالفعل كانت كوبا تحتل المنزلة الثالثة، بعد فنزويلا والأرجنتين، من حيث أهمية رؤوس المال المستثمرة. وتسيطر الولايات المتحدة الأمريكية على 90% من المناجم و36% من أحسن الأراضي و36,65% من إنتاج السكر و90% من إنتاج الكهرباء و79% من النفط وسكك الحديد والنزل والهاتف.

وتجري السيطرة الأمريكية على الاقتصاد الكوبي من خلال السيطرة على إنتاج السكر الذي هو هام على نحو خاص في كوبا. إذ تحتل زراعة قصب السكر 61% من الأراضي الزراعية. وتسيطر 22 لاتيفوندا (ضيعات كبيرة)، بعضها أمريكي، على 70% من أراضي زراعة قصب السكر. ويشتغل في قطاع الفلاحة 975 ألف شخص يشتغل نصفهم تقريبا (471 ألف) في انتاج السكر. لقد كان السكر هو المنتوج الرئيسي الذي تصدره كوبا. فهو يمثل 80% من قيمة الصادرات. وأكثر من 50% من إنتاج كوبا يصدر إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد كان الكونغرس الأمريكي يحدد كل سنة كمية السكر التي ستشتريها الولايات المتحدة الأمريكية. وكانت سعر الشراء، وفق الاتفافية، أعلى مما هو عليه في السوق الحرة. ولا تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بذلك من باب الشفقة.

لقد كان أحد أهداف "الأسعار التفاضلية" حماية الإنتاج الأمريكي الذي تكلفته أعلى من تلك التي للإنتاج الكوبي. ومداخيل "الأسعار التفاضلية" تمر، بطبيعة الحال، إلى جيوب

الاحتكارات الأمريكية المسيطرة على صناعة السكر، وليس إلى جيوب الجماهير الكادحة الكوبية.

ولقد فرضت وتحصلت الحكومة الأمريكية، مقابل ذلك "الأسعار التفاضلية"، على تسهيلات جمركية هائلة تخص التصدير إلى السوق الكوبية. فبالإضافة إلى الإتفاقية العامة حول التعريفة الجمركية والتجارة المسجلة عام 1948، تحصلت الولايات المتحدة الأمريكية على تخفيض في المعلوم الجمركي يخص 183 منتوجا تصدرها إلى كوبا، والحفاظ على معلوم رمزي يخص 393 كان قد وقع تحريرهم في ظروف سابقة. ويمثل مجموعها 576 منتوجا وهو ما يمثل 81,6% من صادرات الولايات المتحدة الأمريكية إلى كوبا. أما البضائع المحمية بحقوق جمركية عالية فهي تلك التي للصناعات المهمين عليها رؤوس المال الأمريكية (المطاط، العجلات، النسيج).

كامل الاقتصاد الكوبي فصل وفق التبادل التجاري مع الولايات المتحدة الأمريكية. ومن ذلك أن كوبا تصدر سنويا للولايات المتحدة الأمريكية 11 ألف طن من الطماطم لتستورد منها الف طن في هيئة معجون طماطم (ketchup). وكل ما حصل من تصنيع (سكك الحديد، موانئ، طرقات) إنما حصل وفق التبادل التجاري مع الولايات المتحدة الأمريكية. وفي الواقع كانت كوبا أحسن مثال لتوضيح أطروحة الأممية الشيوعية حول الاضطهاد الاستعماري. فقد بينت الأممية الشيوعية، خلال عرضها «الخطوط المميزة لاقتصاد المستعمرات وللسياسة الاستعمارية الإمبريالية»، كيف أن:

> في حال تسبب الاستغلال الاستعماري في تطور معين في إنتاج المستعمرات، فإن ذلك التطور يأخذ اتجاها خاصا بفعل الاحتكار الإمبريالي. ولا يقع تشجيعه إلا إذا كان يطابق مصالح الدولة الاحتكارية والحفاظ على احتكارها الاستعماري خاصة. يمكنها أن تدفع مثلا جزءا من الفلاحين إلى الانتقال من زراعة الحبوب إلى زراعة القطن أو السكر أو المطاط (السودان، كوبا، جافا، مصر وغيرها). لكن ذلك يتم بطريقة ليس فقط لا تتطابق مع مصالح التطور الاقتصادي المستقل في البلدان المستعمَرة بل على العكس تقوي أكثر

من ذي قبل تبعية المستعمرات تجاه الدول الاحتكارية الإمبريالية. (...) إن تطور الإنتاج في المستعمرات يزداد نسبيا فقط عندما تكون الصناعة عملية في غاية البساطة (صناعتي التبغ والسكر، وغيرهما)، وحيث يمكن تقليص نفقات نقل المواد الأولية بصورة محسوسة بتحويلها على عين المكان. عموما، تحمل المؤسسات الرأسمالية (عدا المحدثة لغايات حربية) أساسا أو كليا طابعا رأسماليا زراعيا يتميز بتركيبة رأس مال عضوية ضعيفة. إن التصنيع الحقيقي في البلدان المستعمَرة وخصوصا خلق صناعة آلية حيوية قادرة على تطوير قوى البلد المنتجة تطويرا مستقلا لا تشجعها الدولة الاحتكارية بل تعرقلها. وهكذا تتجسد جوهريا وظيفته في الاضطهاد الاستعماري: يُجبَر البلد المستعمَر على التضحية بمصالح تطوره المستقل وعلى لعب دور الملحَق الاقتصادي (فلاحة، مواد أولية) للرأسمالية الأجنبية قصد تقوية السلطة الاقتصادية والسياسية لبرجوازية البلد الإمبريالي وتأبيد احتكارها الاستعماري وتقوية توسعها في بقية العالم على حساب الطبقات الكادحة في البلد المستعمَر. (المؤتمر الشيوعي العالمي السادس: أطروحات في الحركة الثورية في المستعمرات وأشباه المستعمرات، فقرة 12.)

وكان من الطبيعي أن تكون الهيمنة الاقتصادية للامبريالية الأمريكية على كوبا مرفوقة بسيطرة سياسية. ولقد كان ذلك منذ سنين طويلة. لقد كانت كوبا آخر مستعمرات إسبانيا في أمريكا. والولايات المتحدة الأمريكية تريد أن تحل محلها. لذا، فقد استغلت نضال الشعب الكوبي الشرعي ضد الهيمنة الإسبانية منذ 1895 لتتدخل في شؤون كوبا الداخلية. وفي عام 1898 انفجرت باخرة حربية أمريكية على نحو "مذهل" في ميناء هافانا وسقط جراء الانفجار 250 جنديا من البحرية الأمريكية. ولقد وجد الرئيس الأمريكي ماكينلاي في ذلك الذريعة المناسبة حتى يتدخل عسكريا في كوبا لطرد الإسبانيين وإعلان "استقلال" كوبا.

وحتى يفهم الكوبيون جيدا مدى "استقلالهم" أدرجت الولايات المتحدة الأمريكية تعديل بلات (بلات هو اسم السيناتور الذي اقترح التعديل المعني) في دستور كوبا لعام 1901، وهو تعديل يمكن الولايات المتحدة الأمريكية من التدخل بقوة السلاح أو بالضغط

الديبلوماسي في شؤون الجزيرة "للحفاظ على استقلالها ومساندة حكومة متوازنة قادرة على حماية الأرواح والملكيات والحريات"!!! كما يمكن تعديل بلات الولايات المتحدة الأمريكية من حق تركيز قواعد عسكرية وبحرية وحق نقض ما يمكن أن تقوم به الحكومات المقبلة من اتفاقيات والتزامات دولية!

رغم أن تعديل بلات وقع الغاؤه من الدستور، فإن الولايات المتحدة الأمريكية لا تزال تحتفظ إلى اليوم بقاعدة غوانتانامو، وتدخلت عسكريا في كوبا كلما أحست بتهديد مصالحها الاقتصادية والعسكرية. وتدخلت عام 1906 لإخضاع المعارضة لنظام إسترادا بالما. وتدخلت من جديد عام 1917 لتنهي اضطرابات اجتماعية و"حماية الملكية الأمريكية"، ولقد استمر ذلك إلى اندلاع انتفاضة 1922، وساندت انقلاب ماشادو عام 1924 وانقلاب باتيستا عام 1934، وانقلاب هذا الأخير ثانية عام 1952. لقد كانت كوبا في قلب حوض الكاريبي ولا تبعد عن شواطئ الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من تسعين ميلا فكانت بذلك منطقة مفتاحا في الاستراتيجيا الأمريكية.

لكن جماهير العمال والفلاحين المستغلة كانت قد انتفضت عديد المرات ضد مستغليهم، وفي عدة مناسبات انتهت إلى تركيز حكومات وطنية لطالما كانت تعد بانهاء الاستغلال والاضطهاد. وذلك ما وعد به خوزيه مارتي، مؤسس الحزب الثوري الكوبي، خلال النضال ضد إسبانيا عام 1895، والذي استشهد خلال واحدة من أولى المعارك. وهي نفس الوعود التي قطعها من جديد كل من ايسترادا بالما والجنرال مشادو ورامون غرو سان مارتان عندما أعلنوا تبنيهم لإرث خوزيه مارتي لما وصلوا السلطة بسند الحركة الشعبية. وهو نفس الالتزام الذي وعد به فيديل كاسترو عندما استطاع في عام 1959 أن يطيح بنظام باتيستا بفضل انتفاضة شعبية ويستولي على الحكم.

إيسترادا بالما والجنرال مشادو ورامون غرو سان مارتان جميعهم خانوا الوعد الذي قطعوا. وطعنوا، بالتنسيق مع الإمبريالية الأمريكية، الحركة الشعبية التي أوصلتهم إلى الحكم وأصبحوا أشد المدافعين عن الإمبريالية.

لكن كيف كان الأمر مع كاسترو؟ وما هو حال كوبا اليوم؟ من الواضح أن كاسترو قطع العلاقات المميزة بالإمبريالية الأمريكية ليقيم علاقات متميزة أخرى بالإمبريالية الروسية. إذن، فما هي نتيجة عشرين عام من العلاقات المتميزة بروسيا؟ هل نتج عنها تغير في البنية الاقتصادية للجزيرة؟ وهل تجسد ذلك في تحسن وضع الجماهير الشعبية الكوبية؟ تلك هي القضايا التي سنتناول.

"قفزة" غيفارى "الكبرى إلى الأمام"

لقد عرف الاقتصاد الكوبي، منذ ثورة 1959، ثلاث فترات مختلفة. وتميزت الأولى بموجة تأميم عامة وصياغة عدة مشاريع تطوير صناعي وتخطيط اقتصادي. فبعد عدة محاولات فاشلة للتفاهم مع الولايات المتحدة الأمريكية، شرع كاسترو في إنجاز جملة من عمليات التأميم. وكان المرمى في البداية، وفي إطار الإصلاح الزراعي، شركات السكر الأمريكية ومن بينها شركة الاتحاد للغلال الشهيرة. ثم أتى الدور على مصافي النفط تكساكو وإسو وشال لتوضع تحت تصرف الحكومة الكوبية. وأخيرا مع خريف 1960، جرى توسيع التأميم ليشمل مجمل المؤسسات الخاصة الكوبية.

لقد كانت الحكومة الكوبية ترمي، من خلال ذلك التأميم، إلى تحجيم نشاط الشركات المعادية للسلطة الجديدة، ولكن بالأخص لتوفر الموارد الضرورية لتغيير الاقتصاد الكوبي. لذا، حدد القادة الكوبيون هدفا هو ضمان الاكتفاء الذاتي لإقتصاد الجزيرة. وصاغوا مشاريع ترمي إلى تنويع الزراعة عوض الاقتصار على زراعة السكر. ورسموا مخططات لتصنيع كوبا تصنيعا سريعا بتركيز مصنع فولاذ ومصفاة نفط ومصانع أسمدة للزراعة، وجملة أخرى من المشاريع تمكن كوبا من امتلاك بنية صناعية كاملة. وحتى توضع كل تلك المشاريع موضع التطبيق وتنظيم الاقتصاد الكوبي، تألفت هيئة التخطيط عام 1961، وتمثل ذلك في لجنة التخطيط المركزية تحت اشراف وزير الصناعة أرنستو "تشي" غيفارا.

لكن مشروع القادة الكوبيين الاقتصادي مني بفشل ذريع. وانقلب الاقتصاد رأسا على عقب. وكان الفشل المدوي "للاشتراكية الغيفارتية".

فلو افترضنا، لحين من الزمن، أن غيفارا والقادة الكوبيين كانوا قد انخرطوا فعلا في طريق بناء الاشتراكية، فسيكون علينا، حينها، أن ننتبه إلى أنهم خرقوا بعض القواعد الأساسية والجوهرية في السياسة الاقتصادية لدكتاتورية البروليتاريا. فتأميم مجمل الاقتصاد إنما هو مضاد للقواعد التي صاغها المؤتمر الشيوعي العالمي السادس على قاعدة التجربة السوفييتية. فقد تم التأكيد في «البرنامج الشيوعي» الذي أقره ذلك المؤتمر على «ألا يشمل تأميم الإنتاج، كقاعدة عامة، المؤسسات الصغرى والمتوسطة»، وذلك لأنه، إلى جانب أسباب أخرى،

> لأن البروليتاريا وقد وصلت إلى السلطة، ليس لها القوى التنظيمية الكافية خاصة خلال المراحل الأولى من الدكتاتورية، لتحطّم الرأسمالية ولتنظّم في ذات الوقت ربط وحدات الإنتاج المنفردة – الصغيرة والمتوسطة – على قاعدة اشتراكية. (المؤتمر الشيوعي العالمي السادس: برنامج الأممية الشيوعية، الفصل 4، فقرة 4).

كما يوضح البرنامج كيف:

> إن وجود عدد كبير من الوحدات الإنتاجية الصغيرة (وفي مقدمتها الاستثمارات الفلاحية، الضيعات، الورشات، صناديق صغار التجار، وغيرها) (...) يجعل من الضروري بقدر معين، وفي أولى درجات التطور، الحفاظ على السوق من جهة كونه صلة اقتصادية، الحفاظ على النظام النقدي، الخ. (المؤتمر الشيوعي العالمي السادس: برنامج الأممية الشيوعية، الفصل 4، فقرة 4).

لذا، يوصي البرنامج بعدم تأميم كامل الاقتصاد وبالحفاظ على السوق كشكل للصلة الاقتصادية. أما غيفارا وجماعته فلم يكتفوا بتأميم كامل الاقتصاد فحسب وإنما سعوا، عبر سياستهم الاستباقية، إلى إلغاء السوق. لقد كان فشلا بينا وانهار الاقتصاد. وأدت الرغبة في

تخطيط كل شيء فورا إلى أخطر الانحرافات. لم تكن قطع الغيار متوفرة بالعدد الكافي أبدا وغالبا ما ترسل إلى الوجهة غير المناسبة. وإلغاء السوق "رسميا" أدى إلى ولادته سرا من جديد وعلى نطاق أوسع لا تسيطر عليه أجهزة التخطيط مطلقا. ولقد شرع ذلك السوق يتطور منذ ذلك التاريخ إلى اليوم.

لكن، سيكون من الخطأ ألا نجد في كل ذلك سوى "بعض الأخطاء الاستباقية" لغيفارا. فقد أقرت الأممية الشيوعية الشرط التالي:

> إن استيلاء البروليتاريا على السلطة هو الشرط الأولي لنمو قوى الاقتصاد الاشتراكية. (المؤتمر الشيوعي العالمي السادس: برنامج الأممية الشيوعية، الفصل 4، فقرة 4).

ففي كوبا لم تكسب البروليتاريا السلطة وإنما كسبتها البرجوازية الصغيرة مثلما سنبيّن ذلك بالتفصيل في موضع لاحق في هذا الكتاب. فهذه البرجوازية الصغيرة، وبالاستناد إلى جهاز الدولة، تحاول التحول إلى برجوازية وطنية. وهو مسار رصدناه في ذلك الوقت في بلدان أخرى مثل غانا والجزائر ومالي، الخ.

كما لا يجب التغاضي عن مسؤولية الإمبرياليين الروس عن ذلك الفشل في التطور الاقتصادي المستقل. فقد قاموا بكل ما في وسعهم ، من خلال "إعاناتهم" و"نصائحهم"، حتى تبوء التجربة الكوبية بالفشل حتى يتمكنوا من فرض "نماذجهم" وفنييهم. ومارسوا شوفينيتهم على شعوب كوبا وأمريكا اللاتينية من خلال الزعم بأن سبب الصعوبات كان "المزاج اللاتيني" عند الكوبيين. ولقد لمس غيفارا مناورات الروس على نحو غامض. وفي الجزائر هاجم ما يقيمه الروس من علاقات بالبلدان التابعة معلنا أن تلك العلاقات هي ما كانت للإمبريالية بتلك البلدان.

لكن في الوقت الذي كان فيه غيفارا يهاجم روسيا، كان كاسترو يمضي معها اتفاقية اقتصادية لمدة ثلاث سنوات يتحصل بمقتضاها على قرض جديد قيمته 167 مليون دولار. ومقابل هذا "العون" تتخلى كوبا عن مشاريعها في التصنيع. وكان كاسترو أعلن: "لم نتخلى

عن سياسة التصنيع، وإنما أجلناها". (الثورة الأخرى، المنشورات الاجتماعية، باريس، ص 99). ومن السهل تتبع تغير بوصلة السياسة الاقتصادية إذا ما نظرنا في توزيع الاستثمارات من 1962 إلى 1964. فالقروض المخصصة للصناعة، وبعد أن زاد حجمها مقارنة بتلك المخصصة للفلاحة وقطاعات أخرى عام 1963، تناقص من جديد عام 1964.

سنة	1962	1963	1964
فلاحة	27,7	21,5	33,2
صناعة	21,6	30,4	27,4
قطاعات أخرى	50,7	43,1	31,4
الجملة	100	100	100

إذن، تخلى القادة الكوبيون عن سياسة التصنيع ورضخوا لضغوط موسكو، وتخلى غيفارا عن منصب وزير الصناعة وغادر كوبا ليلتحق ببراري بوليفيا بعد إقامة في إفريقيا. لكنه كان أصدر عام 1962 كراسه «دليل حرب الأنصار» وهو كراس يثبت فيه عدم أهليته في مجال الثورة لا يعادلها إلا عدم أهليته في مجال الاقتصاد مثلما سنبين ذلك في موضع لاحق من هذا الكتاب.

الحصاد الكبير عند كاسترو: قفزة كبيرة إلى الوراء

بعد أن تخلى القادة الكوبيون عن سياسة التصنيع، ها أنهم هذه المرة يبذلون جهدا فاصلا لضمان استقلال كوبا الاقتصادي. إنه الحصاد الكبير عام 1970. وكأن الهدف إنتاج عشرة ملايين طن من السكر، مما سيضمن "انطلاقة" للاقتصاد الكوبي. وليس في هذا المشروع شيئا أصيلا، وإنما كان يميز جهود أشباه المستعمرات التي تحاول أن تخلص نفسها من مخالب الإمبريالية عبر الزيادة في حجم مبيعات المواد الأولية حتى تحصل على العملة الصعبة

لتتمكن بالتالي من تصنيع البلاد. لكن، انتهى الأمر إلى الفشل هنا أيضا. فليس فقط لم يتم بلوغ عشرة ملايين طن من السكر، بل أيضا كامل الاقتصاد أصبح في في فوضى عارمة بعد أن وجه بأكمله في خدمة إنتاج السكر. فما كان يرجى منه أن يكون قفزة إلى الأمام اتضح أنه قفزة إلى الوراء.

ولقد استغل الروس خيبة أمل القادة الكوبيين ليوسعوا من سيطرتهم على الاقتصاد الكوبي. وتخلى كاسترو عن مسؤولياته الاقتصادية لصالح كارلوس رافائيل رودريغاز وهو أحد قدماء الحزب الاشتراكي الشعبي الكوبي الموالي لموسكو. وتالفت في عام 1970 لجنة حكومية روسية-كوبية للتعاون الاقتصادي والعلمي والفني. وانخرطت كوبا في منظمة مجلس تبادل التعاون الاقتصادى عام 1972 وأمضت على اتفاقيات اقتصادية مع روسيا. (ميشال غيتلمان: مشركة الفلاحة في كوبا، ماسبيرو، باريس، 1967)

لقد أصبحت السياسة الاقتصادية الكوبية و"التعاون" الكوبي-الروسي، منذ ذلك التاريخ، على أمتن صلة. واللجنة الحكومية المشتركة تلعب دور مايسترو الفرقة، فهي التي تقرر ما يناسب الاقتصاد الكوبي، وهي التي تقرر ما يجب انجازه من مشاريع مدى سعة كفاءاتها، حتى أن المتابعين للسياسة الكوبية يتساءلون "ما إذا كان لا يزال بمستطاع الحكومة الكوبية أن تتخذ أي إجراء دون موافقة الروس". (التبعية الاقتصادية لكوبا، ورد في: مراسلات بلدان الشرق، أفريل 1980، عدد 239.)

لقد كان موقف روسيا من كوبا ذات الموقف الذي يميز موقف الإمبريالية من المستعمرات وأشباه المستعمرات والبلدان التابعة، أي الموقف الذي:

> فلا توافق الإمبريالية عن طواعية أبدا على سيطرة حرة للبرجوازية الوطنية، وعلى إمكانية التطور الرأسمالي المستقل و"الحر" والسيادة على الشعب "المستقل". هنا، يكون تناقض المصالح بين البرجوازية الوطنية في البلد المستعمَر والإمبريالية، موضوعيا وجوهريا على هذا الصعيد. فالإمبريالية تقتضي **سجود** البرجوازية الوطنية. (المؤتمر الشيوعي العالمي السادس: أطروحات في الحركة الثورية في المستعمرات وأشباه المستعمرات، فقرة 18)

لقد خضعت البرجوازية الوطنية وممثلها الرئيسي فيديل كاسترو لأصحاب القرار في الإمبريالية الروسية. وتخليا عن طريق «تطور رأسمالي مستقل وحر» من خلال تأجيل مشاريع التصنيع إلى أجل غير معلوم والتخلي عن «الهيمنة على الشعب "المستقل"»، والاصطفاف تدريجيا وراء سياسة روسيا الخارجية وخاصة منذ مساندة تدخلها في تشيكوسلوفاكيا عام 1968.

"الأسعار التفاضلية" الروسية

اليوم، يهيمن الاقتصاد الروسي على الاقتصاد الكوبي كليا. فقد اشترت روسيا 72% من صادرات كوبا، ووفرت لها ثلاثة أخماس وارداتها. وتقوم علاقات كوبا الاقتصادية على تصدير المواد الأولية واستيراد المواد المصنعة. لذا، كانت. 98,8% من صادرات كوبا عام 1978 تتكون من السكر والنيكل.

لقد خطط الكوبيون لانتاج 7,4 مليون طن من السكر عام 1982، سيباع نصفها لروسيا. أما بلدان الشرق فستشتري منها قرابة نصف مليون طن. أما بقية الإنتاج فسيقع تصريفه في السوق الحر حيث تخضع لتقلبات الأسعار، وبالتالي فإن طنا من السكر قيمته 950 دولارا في نوفمبر 1981، لن تكون قيمته أكثر من 180 دولار في جوان 1982.

أما بالنسبة للنيكل الذي تملك كوبا ربع احتاطيه العالمي، فقد اشترت روسيا، العام الماضي، 75% من إنتاج قدره 38 ألف طن. لقد طالب القادة الكوبيون، عدة مرات، في سنوات الستينات، بتركيز صناعة معدن النيكل في كوبا. لذا، فقد التزمت روسيا بأن يبدأ إنتاج النيكل الجاهز في منجم مدينة موا بأسرع ما يمكن. لكن روسيا، لم تفي، بطبيعة الحال، بالتزامها، ولم ينتج المنجم إلا مكونات محددة من النيكل يتم معالجتها في روسيا مثلما كان يجري ذلك من قبل في الولايات المتحدة الأمريكية. لذا، ظل الوضع على ما كان عليه في ظل الهيمنة الأمريكية تماما.

إلى جانب إنتاج التبغ، الذي تأثر بقدر كبير بالأمراض خلال السنوات الأخيرة، تنتج كوبا أيضا الحمضيات. لكن إنتاجها كان بين 160 و175 ألف طن في حين كان الهدف 270 ألف طن، وكل الإنتاج موجه نحو دول منظمة مجلس تبادل التعاون الاقتصادى حيث لا يعترض البضاعة مشكل مواصفات السوق العالمية.

تلك هي القطاعات الرئيسية في الاقتصاد الكوبي في أيامنا. ولقد كثر الحديث، منذ تركيز العلاقات الروسية-الكوبية، عن مدى سعة العون الذي تقدمه روسيا لكوبا والإشارة إلى أن موسكو تشتري سكر كوبا بضعف سعر السوق وأحيانا بخمسة مرات من ثمن السوق، وتشتري النيكل بأسعار مرتفعة اصطناعيا، تماما كما تجري الإشارة إلى النفط "المدعم" حيث تمد روسيا كوبا 250 ألف برميل يوميا بسعر 12,8 دولارا للبرميل الواحد. وإجمالا، يجري احتساب ما قبضته كوبا من روسيا، من عام 1960 إلى عام 1978،والذي بلغ 13 مليار دولار، في هيئة قروض دون فائدة أو بفائدة ضعيفة جدا أو في هيئة إعانات تضمنها سعري السكر والنيكل الكوبيين وسعر النفط الروسي.

لكن يجب أن يكون هنالك تحديدا أكبر لتلك "الأسعار التفاضلية". فمثلا، عندما تستورد روسيا السكر الكوبي، فإنها تستطيع أن تقلص بقدر كبير انتاجها لسكر اللفت السكري الذي كان أعلى تكلفة من "الأسعار التفاضلية" الخاصة بالسكر الكوبي.

أما بالنسبة للنفط، فيجب الإنتباه إلى أن كوبا لا تتزود به من روسيا فقط (رغم أن ذلك لا يذكر في الإحصائيات الروسية). ولقد أبرمت روسيا اتفاقا ثلاثيا مع المكسيك، تدفع روسيا بمقتضاه فاتورة النفط الذي يصل كوبا بالعملة الصعبة. وكنتيجة لهذه المعاملة تتقلص نسبة النفط الوارد من روسيا بـ 25%، لذا، فإن إجمالي النفط الذي تتزود به كوبا من روسيا طيلة عام لا يعبأ لذلك الغرض أكثر عشر أسطول النفط الروسي. وكان لروسيا أيضا اتفاق آخر مع فينزويلا يقضي بأن تزود الأخيرة كوبا بالنفط عوض تزويد اسبانيا وان تتكفل روسيا بتزويد اسبانيا بالنفط.

كما يجب أن نأخذ بعين الاعتبار ان القروض ومداخيل بيع السكر والنيكل (والتي لا تدفع إلا بالروبل الروسي) لا تمكن إلا من شراء بضائع روسية. وليس هنالك اية معلومة

دقيقة عن الأسعار التي تشتري بها كوبا من روسيا. لكن هناك دراسة ترمي إلى البرهنة على أن أسعار البضائع التي تبيعها روسيا لأشباه المستعمرات والبلدان التابعة "المتمتعة بالعون الروسي" أكبر بنسبة تتراوح بين 13 و15% من تلك التي تبيع بها للبلدان الغربية. ويصل هذا الفارق إلى ما بين 33 و35% بالنسبة للآلات والتجزهيزات. (ج. ر. كارتر: الكلفة الصافية للمساعدات السوفييتية الخارجية، 1969)

هذا "النموذج" من التبادل الاقتصادي بين روسيا وكوبا القائم على مبادلة بضائع مصنعة بمواد أولية هو نموذج جار ومعتاد. فهو نموذج العلاقة بين الإمبريالية والمستعمرات وأشباه المستعمرات والبلدان التابعة. ولا يجب أن تخدع "الأسعار التفاضلية" الناس. فهي أسعار دنيا حتى ولو كانت أعلى من أسعار السوق العالمية فهذه الأخيرة كانت في أدنى مستوى من الانحطاط. كما أن "الأسعار التفاضلية" لشراء المواد الأولية هي تكتيك عادة ما تستعمله مختلف القوى الإمبريالية قصد تطوير نفوذها في هذا البلد أو ذاك. إن فرنسا تدفع "أسعارا تفاضلية" مقابل نفط الجزائر وغازها مقابل فتح السوق الجزائرية للسلع الفرنسية ولنفوذ أقوى لفرنسا في هذا البلد. ولنتذكر أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت قد أقرت "أسعارا تفاضلية" لسكر كوبا قبل عام 1959.

أطروحة الأممية الشيوعية المتعلقة بجوهر الاضطهاد القومي، والتي أوردنا لتحديد علاقة الولايات المتحدة الأمريكية بكوبا قبل عام 1959 إنما تنطبق تماما اليوم على العلاقات الروسية-الكوبية. ومثلما كنا بينا في هذا الفصل من الكتاب فإن:

> إن التصنيع الحقيقي في البلدان المستعمَرة وخصوصا خلق صناعة آلية حيوية قادرة على تطوير قوى البلد المنتجة تطويرا مستقلا لا تشجعها الدولة الاحتكارية بل تعرقلها. (المؤتمر الشيوعي العالمي السادس: أطروحات في الحركة الثورية في المستعمرات وأشباه المستعمرات، فقرة 12)

وذلك ما حصل لكوبا فعلا، لما أجبرت روسيا البرجوازيةَ الكوبية على الخضوع والتخلي عن مشاريعها لتصنيع البلاد. فالأممية الشيوعية تُعلّمنا أن:

وهكذا تتجسد جوهريا وظيفته في الاضطهاد الاستعماري: يُجبَر البلد المستعمَر على التضحية بمصالح تطوره المستقل وعلى لعب دور الملحَق الاقتصادي (فلاحة، مواد أولية) للرأسمالية الأجنبية قصد تقوية السلطة الاقتصادية والسياسية لبرجوازية البلد الإمبريالي وتأبيد احتكارها الاستعماري وتقوية توسعها في بقية العالم على حساب الطبقات الكادحة في البلد المستعمَر. (المؤتمر الشيوعي العالمي السادس: أطروحات في الحركة الثورية في المستعمرات وأشباه المستعمرات، فقرة 12)

فكوبا تلعب اليوم بالفعل دور تابع اقتصادي لروسيا وتساهم في تقوية نفوذ الإمبريالية الروسية في العالم.

مفهومان للأممية البروليتارية

يعمل المدافعون عن الإمبريالية الروسية على تقديم العلاقات بين روسيا وكوبا على أنها "علاقات أخوية بين أمم إشتراكية"، قائمة على مبدأ الأممية البروليتارية. وهنالك آخرين يقدمون ما يخالف تلك الفكرة فيشيرون عن حق إلى الطبيعة الإمبريالية للعلاقات بين روسيا وكوبا، لكنهم يستغلون ذلك قصد التهجم على الاشتراكية زاعمين أن اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية كان إمبرياليا منذ زمن ستالين.

فما حقيقة الأمر؟

لقد حدد برنامج الأممية الشيوعية مهمة اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية في أن يطور:

ج. عناية كبيرة بالتطور الاقتصادي والسياسي والثقافي في "المناطق" و"المستعمرات" التي كانت مضطهَدة، لإقامة أسس صلبة لمساواة فعلية وتامّة

بين الأمم. (المؤتمر الشيوعي العالمي السادس: برنامج الأممية الشيوعية، الفصل 4، فقرة 3)

ولقد تطورت سياسة الاتحاد السوفييتي بقيادة ستالين في هذا الأفق تجاه القوميات المضطهدة. فبالإضافة إلى الاعتراف بمساواة مختلف القوميات في الحقوق وتسهيل تطورها الثقافي عبر تشجيع ازدهار لغاتها القومية، كان الاتحاد السوفييتي بقيادة ستالين يضع لنفسه هدفا هو مساواة الروس بجميع القوميات الاخرى.

لقد شرح ستالين هذا الهدف في تقريره إلى المؤتمر الثاني عشر للحزب الشيوعي الروسي سنة 1923 كما يلي:

يها الرفاق. إن العامل الثاني الذي يقف حاجزا أمام تجميع الشعوب التي كانت مضطهَدة حول البروليتاريا الروسية إنما يتمثل في انعدام المساواة الفعلية التي ورثنا عن القيصرية. لقد أعلنا المساواة الحقوقية ونحن نطبقها. لكن المسافة بين المساواة الحقوقية، والتي لها في حد ذاتها أهمية جد كبيرة في تاريخ تطور الجمهوريات السوفييتية، والمساواة الفعلية لا تزال طويلة جدا. فكل القوميات المتأخرة وكل القبائل تتمتع، شكلا، بجميع الحقوق التي تتمتع بها كل القوميات المتقدمة التي تؤلف الفيدرالية. لكن المشكل أن بعض القوميات ليس لها عمالها، أي لم تمر بالمرحلة التطور الصناعي، ولم تشرع في ذاك بعد. وهي متأخرة على نحو كبير من الناحية الثقافية وهي عاجزة تماما عن استخدام ما منحته إياها الثورة من حقوق. فهنا، أيها الرفاق، قضية أهم من قضية المدارس. ويعتقد رفاقنا، في هذا الموضوع، أنه عندما نضع قضية المدارس واللغة في الصدارة نكون قد أمسكنا بالحلقة المناسبة. إن ذلك خاطئ أيها الرفاق. فالمدارس لوحدها لا تفي بالغرض. فالمدارس واللغة يتطوران، أما عدم المساواة الفعلية فهي أساس كل غضب وتململ. فإذا ما أردنا أن نتقدم في حل هذه القضية كان علينا ألا نكتفي بالمدارس واللغة. فما يجب علينا في هذا الموضوع إنما هو توفير مساعدة بروليتارية فعلية ومنتظمة وجدية للجماهير الكادحة في القوميات

المتأخرة من الناحيتين الثقافية والاقتصادية. لذا، يجب على البروليتاريا الروسية أن تتخذ، إلى جانب المدارس واللغة، جميع التدابير اللازمة حتى يتم انجاز مناطق صناعية في المناطق المحيطة والجمهوريات المتأخرة من الناحية الثقافية – وليس الخطأ خطأها إن كانت كذلك، وإنما بسبب اعتبارها قبلا مصادر مواد أولية –. (ستالين: تقرير إلى المؤتمر الثاني عشر للحزب الشيوعي الروسي البلشفي)

تماما كما طبق الاتحاد السوفييتي سياسة العون على تصنيع الأمم المضطهدة لبلوغ مساواة فعلية، على بلدان الديمقراطية الشعبية بعد الحرب العالمية الثانية. وحتى الكتاب البرجوازيون هم مضطرون للاعتراف بأن جهازا من قبيل منظمة مجلس تبادل التعاون الاقتصادى لم يكن له سوى وجود شكلي إلى غاية اغتيال ستالين، وأن "كل بلد من بلدان أوروبا الشرقية، إنما كان يتبع سياسة تطوير مكتفية ذاتيا وفق النموذج السوفييتي". ويتشبث "بالمفهوم الستاليني ومفاده أنه لا يمكن لبلد أن يتخلص من التأخر وما ينتج عنه من تبعية إلا بازدهار الفروع الرئيسية في الصناعة وأولها الصناعة الثقيلة". (جاك ليفاسك: اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية وسياسته الدولية من 1917 إلى أيامنا، دار أرمان كولين، 1980، ص 221)

بعد إعادة الرأسمالية في روسيا، ومنذ سنتي 1961 و1962، أبدى القادة الروس اندفاعا كبيرا نحو تركيز اندماج بلدان منظمة مجلس تبادل التعاون الاقتصادى اقتصاديا وتقسيم االعمل بينها. لقد وجد خروتشوف في ادماج أوروبا الشرقية وسيلة لمحاربة تطور اتجاهات الانفلات من المركز. فلم يكن خروتشوف يرمي إلى التخصص الاقتصادي فقط، وإنما كان يرمي أيضا إلى تحول منظمة مجلس تبادل التعاون الاقتصادى إلى جهاز "دولي" "للتخطيط" وفق مصالح روسيا. ولم يعد يتعلق الأمر لا بالمساواة الفعلية بين مختلف الأمم ولا بتسهيل تطور التصنيع في مختلف تلك البلدان، وإنما أصبح يتعلق الأمر بإخضاعها لأوامر موسكو، وكانت الاجراءات الاقتصادية الانتقامية المتخذة ضد ألبانيا بمثابة عبرة لمن تخول له نفسه معارضة تلك الأوامر.

إن الأزمة الاقتصادية التي تعصف اليوم ببلدان منظمة مجلس تبادل التعاون الاقتصادى، والتي تمثل بولونيا أحسن مثال لها، لها ذات الخصائص الجوهرية للأزمة التي تعصف ببلدان المعسكر الغربي، وهي دليل على فشل "الاشتراكية" على طريقة خروتشوف وبريجنيف، تماما كما أنها دليل على أن بلدان المعسكرين الاثنين إنما تحكمها نفس القوانين الاقتصادية.

قدم ستالين تقريره إلى المؤتمر السابع عشر للحزب الشيوعي البلشفي السوفييتي عام 1934، خلال أوج الأزمة الكبيرة التي عصفت بالعالم الرأسمالي بأسره، ولقد قابل في ذلك التقرير بفخر افلاس النظام الرأسمالي بنجاحات الاتحاد السوفييتي العظيمة خلال بناء الاشتراكية. وإن ذلك بين عندما نقارن حجم الانتاج الصناعي في البلدان الرئيسية.

	1913	1929	1930	1931	1932	1933
الاتحاد السوفياتي	100	194،3	252،1	314،7	359،0	391،9
الولايات المتحدة	100	170،2	137،3	115،9	91،4	110،2
أنجلترا	100	99،1	91،5	83،0	82،5	85،2
ألمانيا	100	113،0	99،8	81،0	67،6	75،4
فرنسا	100	140،0	124،0	124،0	96،1	107،6

جدول حجم الانتاج الصناعي (ستالين: تقرير إلى المؤتمر السابع عشر للحزب الشيوعي البلشفي السوفييتي)

ففي حين تكد الجماهير الكادحة في البلدان الرأسمالية في سبيل أجر مجاعة ويخرجون بالملايين بحثا عن شغل، فإن البروليتاريا في الاتحاد السوفييتي قد

> نجحت في الارتقاء بمستوى عيشها المادي والثقافي، على قاعدة نهوض الصناعة والفلاحة، حتى أن البطالة اختفت وحتى أن معدل الأجر السنوي عند عمال الصناعة قد تضاعف تقريبا من 1930 إلى 1933، وأصبح يوم العمل من سبع ساعات في جميع صناعات ما فوق وجه الأرض. (ستالين: تقرير إلى المؤتمر الثاني عشر للحزب الشيوعي الروسي البلشفي)

لقد كان الاتحاد السوفييتي يسير حينها وفق قانون الاشتراكية الأساسي، أي وفق:

> تأمين تلبية الحد الأقصى من حاجات كل المجتمع المادية والثقافية لنامية بغير انقطاع، وذلك عن طريق زيادة وإتقان الإنتاج الاشتراكي بصورة دائمة، على أساس تكنيك أرقى. (ستالين: القضايا الاقتصادية للاشتراكية في اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية، دار الفاربي، بيروت، 1954.)

لكن البطالة تعود اليوم للظهور في روسيا. ومواد الاستهلاك الضرورية تندر، والميزانية العسكرية تستحوذ على معظم موارد البلاد. وها أن بريجنيف يعترف جهرا في آخر مؤتمر للحزب التحريفي الروسي بأن الفلاحة قد غرقت في أزمة كارثية. وما ذلك الوضع إلا نتيجة لإعادة الرأسمالية في روسيا بعد اغتيال ستالين، وما ذلك إلا دليلا على أن اقتصاد روسيا إنما يحكمه القانون الاقتصادي للرأسمالية الحالية، الذي يقضي بـ:

> تأمين الحد الأقصى من الربح الرأسمالي عن طريق استثمار وخراب وإفقار القسم الأعظم من سكان بلد معين؛ وعن طريق استعباد وسلب شعوب البلدان الأخرى، بدأب وإمعان، ولا سيما شعوب البلدان المتأخرة، وأخيراً عن طريق إثارة الحروب وإشاعة العسكرية في الاقتصاد الوطني بغية تأمين الحد الأقصى من الأرباح. (ستالين: القضايا الاقتصادية للاشتراكية في اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية، دار الفاربي، بيروت، 1954.)

لذا، فكوبا هي على وجه التحديد إحدى البلدان المتأخرة التي استعبدتها ونهبتها البرجوازية "الحمراء" في موسكو بمنهجية.

«المدارس لوحدها لا تفي بالغرض» – ستالين

غالبا ما يقوم كتّاب قياصرة الكرملين الجدد بالتستر عن استعباد الشعب الكوبي من جانب الإمبريالية الروسية باستعراض ما أنجز في كوبا، منذ عام 1959، من نجاحات باهرة في مجال محو الأمية والتعليم. ولا شك في أن النجاح في محو أمية سكان بلد بعينه إنما يعتبر خطوة كبيرة إلى الأمام. لكنها ليست خطوة ثورية في حد ذاتها، أي أن محو الأمية هو إنجاز لا يتجاوز حدود التطور الرأسمالي. فمحو الأمية هو مهمة من مهمات الثورة الديمقراطية البرجوازية وهو أمر مقبول من جانب البرجوازية، بل هو في الواقع ضروري للتطور الرأسمالي على نطاق واسع.

وها أن جهازا كالبنك العالمي "يكتشف" هذا الأمر مؤخرا. فقد أكد البنك العالمي في تقريره في التطور العالمي لعام 1980 (البنك العالمي: تقرير في التطور العالمي، 1980)، على أن "التطور الانساني المتميز بأجود تعليم وصحة وتغذية وتنظيم عائلي على المستوى المحلي إنما يعد بتطور اقتصادي أكثر جدوى من استثمار رأس المال في الصناعة". فقد فهم "خبراء" البنك العالمي أن "الفلاحين المتعلمين" أي أولئك الذين قضوا أربع سنوات من التعليم ينتجون أكثر مما ينتج "الفلاحون غير المتعلمين" بنسبة 13%، لأنهم يستعملون بذورا جيدة وأسمدة جيدة ويعرفون جيدا تقنيات الري، الخ. ولقد استنتجد البنك العالمي من ذلك أن "إنتاجية الاستثمار الانساني، على نطاق واسع (خاصة في التعليم الابتدائي)، هي انتاجية أكبر من الإنتاجية الجسدية".

إن ما تحقق في كوبا من محو للأمية وتعليم السكان غير كاف حتى نؤكد أن كوبا قد تجاوزت التأخر ولم تعد مستعبدة من جانب روسيا. ولقد اوضح ستالين لأولئك الذين لا يعتمدون في حل مشكل عدم المساواة الفعلية بين الأمم إلا المدارس، ما يلي:

> فالمدارس لوحدها لا تفي بالغرض (...) لذا، يجب على البروليتاريا الروسية أن تتخذ، إلى جانب المدارس واللغة، جميع التدابير اللازمة حتى يتم انجاز مناطق صناعية في المناطق المحيطة والجمهوريات المتأخرة من الناحية الثقافية

– وليس الخطأ خطأها إن كانت كذلك، وإنما بسبب اعتبارها قبلا مصادر مواد أولية –. (ستالين: تقرير إلى المؤتمر الثاني عشر للحزب الشيوعي الروسي البلشفي)

ويجب أن يكون بديهيا عند كل شريف أن روسيا تجد في كوبا مصدرا للمواد الأولية لا أكثر، وأنها لا تنوي أبدا أن تركز مناطق صناعية في كوبا. بل بالعكس، فقد قامت بكل ما في وسعها إلى حد الآن حتى لا تتطور مثل تلك المناطق مثلما كنا قد تعرضنا لذلك.

وروسيا تستغل، من ناحية أخرى، الفنيين الكوبيين الجدد عبر ارسالهم إلى بلدان في إفريقيا أو أمريكا اللاتينية كأنغولا والنيكارغوا، مستغلة لون البشرة، أو حتى فقط لأنهم من أمريكا اللاتينية حتى تضمن هيمنة أكبر عبر وساطة كوبية. وليس في كل ذلك شيئا جديدا. وكان ستالين قد شرحه كما يلي:

هو نظام قديم متميز في الحكم، حيث تجذب السلطة البرجوازية إليها قوميات بعينها فتمنحها امتيازات في الوقت الذي تحط فيه من قيمة قوميات أخرى دون حرج. فكلما جذبت قومية بعينها، إنما تكون قد ضغطت على قوميات أخرى عبر الأولى (ستالين: تقرير إلى المؤتمر الثاني عشر للحزب الشيوعي الروسي البلشفي)

التخلي عن مواقف البروليتاريا ليس "خيارا"

لو رسمنا، في آخر الأمر، لوحة لعشرين سنة من "بناء الاشتراكية " في كوبا لاتضح لنا الوضع اليوم لا يختلف، من حيث الأساس، عما كان عليه منذ 1959. فالاقصاد الكوبي تهيمن عليه اليوم روسيا مثلما كانت تهيمن عليه الولايات المتحدة الأمريكية من قبل. و"الأسعار التفاضلية" الروسية الخاصة بالسكر تحكم الاقتصاد الكوبي مثلما كانت تحكمه من قبل "الأسعار التفاضلية" الأمريكية. وتواجه جماهير العمال والفلاحين مشاكل السكن

والنقل. وندرة المواد الأساسية على حدة دفعت بالآلاف من السكان إلى الترشح للهجرة الى الولايات المتحدة الأمريكية عندما ترخص فيها الحكومة الكوبية مؤقتا.

وهنالك من يطل علينا معلنا أنه لم يكن أمام القادة الكوبيين من "خيار" غير الاصطفاف وراء روسيا، وأنه لم يكن في مستطاع كوبا أن تبني الاشتراكية بالاعتماد على أسس خاصة بها. ولقد كنا مع الرأي الذي مفاده ألا ننظر إلى قضية إمكانية بناء الاشتراكية في بلد واحد نظرة دوغمائية ومثالية. ولقد أشار المؤتمر الشيوعي العالمي السادس إلى أشباه المستعمرات على أنها:

> تملك جنين الصناعة وفي بعض الأحيان صناعة متطورة، لكنها غير كافية في أغلب الأحيان لبناءٍ الاشتراكية بناء مستقلا. (المؤتمر الشيوعي العالمي السادس: برنامج الأممية الشيوعية، الفصل 4، فقرة 8)

ولقد كانت الأممية الشيوعية تعتبر الانتقال إلى دكتاتورية البروليتاريا، كقاعدة عامة، أمرا مستحيلا،

> إلا عبر جملة من المراحل التحضيرية؛ عبر مرحلة كاملة من تحول الثورة البرجوازية الديمقراطية إلى ثورة اشتراكية. ونجاح البناء الاشتراكي فيها مشروط، في أغلب الحالات، بما تقدمه لها دول دكتاتورية البروليتاريا من مساعدة مباشرة. (المؤتمر الشيوعي العالمي السادس: برنامج الأممية الشيوعية، الفصل 4، فقرة 8)

وفضلا عن ذلك، ونظرا لكون منطقة الأرخبيل بعيدة جغرافيا عن الاتحاد السوفييتي، فقد أشارت الأممية الشيوعية إلى ضرورة أن تتجمع تلك البلدان في فيدرالية سوفييتية لبناء الاشتراكية.

ويشير البعض إلى أمر مفاده أن الظروف الموضوعية والذاتية لم تتظافر عام 1959 حتى يتطور انتصار الثورة في اتجاه ثورة اشتراكية. وهو أمر صحيح دون شك. ولكن ذلك لا يبرر تخلي أولئك الثوريين المزعومين عن موقف البروليتاريا الطبقي والخضوع للبرجوازية.

وأما أن يقوم بذلك أشخاص من رهط كاسترو وغيفارا ومن لف لفهما فذلك أمر لم يفاجئنا، فمثلما سنرى لاحقا، فلا يزعمون أنهم ممثلو البروليتاريا وإنما البرجوازية الوطنية. ولقد سلكوا الطريق المعتاد عند برجوازية الأمة المضطهَدة، وهو أن تبيع نفسها للإمبريالية. ولقد شرح لينين ذلك كما يلي:

> تحوّل برجوازية الأمم المضطهَدة، دوما، شعارات التحرر الوطني إلى أداة لتظليل العمال. ففي السياسة الداخلية، هي تستخدم تلك الشعارات لعقد اتفاقات رجعية مع برجوازية الأمم المضطهِدة... وفي السياسة الخارجية، تسعى إلى الاتفاق مع إحدى القوى الإمبريالية المنافسة قصد بلوغ أهداف نهب خاصة بها. (لينين: الثورة الاشتراكية وحق الأمم في تقرير مصيرها – أطروحات، فقرة 4)

لقد سعى القادة الكوبيون، أول الأمر، إلى عقد اتفاقيات رجعية جديدة مع البرجوازية الأمريكية، ولما فشلت المفاوضات، سعوا إلى عقد اتفاقيات مع قوة منافسة، مع الإمبريالية الروسية.

واليوم، لو تحين الفرصة لهم، فلا يتراجعون عن الانقلاب في الوجهة المعاكسة، وهو ما يشهد عليه واين سميث ممثل الولايات المتحدة الأمريكية السابق في كوبا الذي كان يؤاخذ حكومته على عدم تقدير انفتاح الحكومة الكوبية بما يكفي من الإنتباه وعلى عدم استغلال الصعوبات الاقتصادية التي كانت تعيشها كوبا.

لقد كان من المنتظر أن تشهد كوبا، رغم مساعدات روسيا، عجزا في ميزانية 1983 قدره 980 مليون دولار، اي ما يعادل ثلاث مرات قيمة عجز العام الماضي. وعلى كوبا دين خارجي قيمته 10,5 مليار دولار منها 7,3 مليار دولار لروسيا و3,2 مليار دولار للغرب

والذي منه 1,8 مليار دولار لحكومات و1,4 مليار دولار لبنوك كندية وأوروبية ويابانية. ولقد اشتدت الصعوبات المالية مع انخفاض سعر السكر وارتفاع نسبة الفائدة إلى درجة أن كوبا وجدت نفسها مجبرة على أن تطالب "بإعادة جدولة" ديونها.

تسعى كوبا إلى انفتاح أكبر على الغرب قصد مضاعفة حجم تجارتها مع الغرب الذي يمثل حاليا 30% من مجمل تجارتها الخارجية. كما تسعى كوبا إلى اجتذاب رؤوس المال الأجنبية. ودون طبل أو مزمار صوتت الحكومة الكوبية، في فيفري 1982، على قانون متعلق بالاستثمار الخارجي يمنح الرأسماليين الغربيين من حيازة 49% من أسهم المؤسسات المشتركة مع الحكومة الكوبي مع توطين تام للأرباح وفوائد الأسهم. وأعلنت هافانا أنها لن تتدخل لا في تحديد الأسعار ولا في تحديد الإنتاج. كما يخول ذلك القانون للشركات تشغيل العمال وتسريحهم، واختيار مدرائها ومسييريها. ومنحت أولوية للصناعة السياحية. فتستعيد كوبا بذلك ما كان لها من جاذبية سياحية قبل 1959. ولقد كان قد التحق بشواطئ كوبا عام 1981 أكثر من 200 ألف سائح.

وأعلنت الجرائد أن كاسترو قد يذهب إلى حد سحب 19 ألف جندي من أنغولا وقطع إمداد الحركات الثورية في أمريكا الوسطى بالسلاح مقابل رفع الحصار الأمريكي. (مجلة الاقتصادي، 28 أوت – 3 سبتمبر 1982)

لكن الإمبريالية الأمريكية تجد نفسها في وضع جيد يجعلها تطالب بالكثير من كوبا التي تواجه صعوبات اقتصادية: انسحاب القوات العسكرية الكوبية من أثيوبيا ورحيل المستشارين العسكريين الروس من كوبا. وليس مستبعدا أن يغير القادة الكوبيون، في يوم من الايام، بوصلتهم مائة وثمانين درجة، فيتحالفوا مع الولايات المتحدة الأمريكية. وحينها سيصيح الكثير حول الخيانة، لكن ستكون هنالك متابعة لنفس الخط الذي جرى اتباعه منذ الستينات، الخط الذي يبرر البيع مقابل أفضل سعر، خط الخضوع للإمرريالية.

لقد كان لخيانة الثورة الكوبية – تلك الخيانة التي أيدها "الشيوعيون" الروس والصينيون والألبان، الخ – نتائج مأساوية لا حدود لها على البروليتاريا في كوبا وفي أمريكا اللاتينية. فقد سقط آلاف المقاتلين الثوريين الأفذاذ خلال انسياقهم وراء نظريات كاسترو

وغيفارا الضبابية والتي ساهم في انتشارها خروتشوفيون وماويون وخوجيون. وبروليتاريا أمريكا اللاتينية ترى اليوم افلاس "الاشتراكية على الطريقة الكوبية". وشرعت تحس أن "الطريق الكوبية" هي طريق مسدود. لذا، يصبح من المهم تطهير الحركة الثورية من النظريات التحريفية ورد الإعتبار للينينية، «نظرية الثورة البروليتارية وتكتيكها»، ورد الإعتبار للبلشفية، كـ«أنموذج في التكتيك للجميع». (لينين: الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي، ما الأممية؟)

القسم الثاني – التخاريف النظرية عند غيفارا وكاسترو ودوبراي

دخل كاسترو وصحبه "الملتحين" هافانا في جانفي 1959 دخول المنتصر. فقد كسب السلطة بفضل إضراب عام وانتفاضة شعبية يعود أعظم نصيب في تنظيمها إلى حركة 26 جويلية، وهي منظمة كان يقودها كاسترو. لقد انتصرت انتفاضة 1959 بعد تكرر فشل محاولات سابقة مماثلة.

فقد شن كاسترو، في 26 جويلية 1953 على رأس مجموعة من 165 شخص أغلبهم طلبة، هجوما على الثكنة العسكرية مونكادا في سنتياغو الكوبية، قصد الاستيلاء عليها، وهي الثانية من حيث الأهمية في البلاد. ولقد كان يفترض أن يصادف ذلك الهجوم انتفاضة شعبية في كامل البلاد. لكن العملية فشلت. وقتل 71 شخصا، وسجن كاسترو.

لقد استغل كاسترو محاكمته كمنبر سياسيى بمرافعته الشهيرة :سيبرؤني التاريخ، قصد فضح النظام وإشهار برنامجه. وانتهى الأمر بالحكم عليه 15 عاما سجنا مع الأشغال الشاقة، لكنه سرح عام 1955 بفضل عفو عام، ليغادر كوبا في اتجاه المكسيك حيث سيلتقي اابالأرجنتيني أرنستو غيفارا الذي سيحضّر معه حملة جديدة على كوبا.

أبحر كاسترو رفقة 85 شخص، في نوفمبر1956 ، على متن الباخرة غرانما نحو ساحل كوبا، وحيث يصادف ذلك جملة من الانتفاضات في المحافظة الشرقية. لكن لم يزد الأمر على كونه نسخة جديدة من أحداث ثكنة مونكادا. فالانتفاضات سحقت والباخرة غرانما ألقت بها عاصفة على ساحل المحافظة الشرقية حيث كان ينتظرها رجال باتيستا. لم ينجح في

الفرار إلا 12 شخصا، اتجهوا نحو السلسلة الجبلية سيارا مايسترا، حيث تجمعوا ونظموا الأنصار. ولقد شرع يتطور تنظيم الأنصار حتى بلغ أوجه بانتصار.1959

من هو فيديل كاسترو؟

لقد بدأ كاسترو، هو ابن أحد المالكين العقاريين، نشاطه السياسي في جامعة هافانا، حيث سجل نفسه في كلية الحقوق عام1947 . تمثل ذلك في نضاله وقتئذ صلب ما يسمى "مجموعات العمل" .

ولم تكن تلك المجموعات مؤلفة من شيوعيين، بل العكس فقد شاركت تلك المجموعات في الحملة المعادية للشيوعية التي كانت ترمي إلى طرد ما تبقى من الشيوعيين من النقابات !!!لقد. كانت "مجموعات العمل" تلك مجموعات قومية تبشر بالإرهاب كوسيلة للنضال. ولقد شارك كاسترو نفسه عام 1947 في مآمرة ترمي إلى اغتيال دكتاتور جمهورية الدومينيكان.

لقد كان كاسترو أيضا عضوا في الحزب الأرذوكسي، وهو حزب قومي. كما كان أحد مرشحي هذا الحزب في انتخابات 1952. لكن انقلاب باتيستا منع قيام تلك الانتخابات، مما منع الحزب الأرذوكسي من بلوغ السلطة، وهو الذي كان انتصاره مضمونا. لكن الحزب انشق لاحقا فألف كاسترو جناحه الذي شن الهجوم على ثكنة مونكادا والذي سمي لاحقا " حركة 26 جويلية" كتخليد لتلك الذكرى.

إذن، لم يكن كاسترو شيوعيا، ولم تكن حركته تعلن أنها شيوعية، ولم يكن برنامجها شيوعيا. وإنما كان برنامج حركة 26 جويلية وكاسترو برنامجا ديمقراطيا برجوازيا. فقد كان يعد باستعادة دستور1940 ، وبمؤسسات ديمقراطية وإصلاحا زراعيا. ولقد كان كاسترو ورفاقه "الملتحين" يؤكدون بوضوح تام أن رايتهم هي راية الثورة البرجوازية، راية النضال في سبيل الاستقلال الوطني، راية خوزيه مارتي: بطل النضال في سبيل استقلال كوبا عن إسبانيا. فقد كانوا يعلنون أنهم هدفهم هو إتمام الثورة الديمقراطية البرجوازية التي دشنها

مارتي في بداية القرن العشرين. وهو ذات الهدف الذي رسمه من قبل كل من يسترادا بالما وماشادو وغرو سان مارتن، والذي جميعهم خان واتفق مع الإمبريالية على سحق الحركة الشعبية التي أوصلتهم إلى السلطة، وعلى الحفاظ على كوبا شبه مستعمر للولايات المتحدة الأمريكية.

كيف انقلب كاسترو "شيوعيا"

فور وصوله إلى السلطة، هرع كاسترو، كسابقيه، إلى الاتفاق مع إمبريالية أمريكا الشمالية. ففي شهر أفريل زار كلا من الولايات المتحدة الأمريكية وكندا قصد التفاوض حول تفاهم في مصلحة للبرجوازية الكوبية أحسن مما كان لها في ظل حكم باتيستا، باستغلال التناقض بين مختلف فئات برجوازية شمال أمريكا. وهي تناقضات قائمة فعلا. فبعض فئات البرجوازية الأمريكية تدعم باتيستا دون شرط. لكن فئات أخرى، وقفت على هشاشة سلطته، شرعت تفتش عن بديل له. (لقد نشأ وضع مماثل في نيكاراغوا منذ سنوات حيث اختلفت فئات البرجوازية حول دعم سوموزا). ومنذ 1958، تخلت الولايات المتحدة الأمريكية، رسميا، باتيستا أمام تعاظم انحسار شعبيته، ورحبت بكاسترو. لذا، انعقد في ميامي في نهاية نوفمبر عام1958، اجتماع شارك فيه موظفان ساميان حكوميان ومساعد كاتب الدولة ورئيس لجنة أمريكا اللاتينية في المخابرات الأمريكية وهو اجتماع انتهى إلى ضرورة إقناع باتيستا بأن يتنحى. لقد استغل كاسترو ومنظمته "حركة 26 جويلية" تلك التناقضات صلب البرجوازية الأمريكية للاستيلاء على السلطة والاحتفاظ بها. لكن سريعا ما انقلب الوضع، فقامت مواجهة عوض تفاهم جديد مع الإمبريالية الأمريكية.

في إطار أول إصلاح زراعي، عام 1959، تم تأميم عدة مؤسسات سكر أمريكية، من ضمنها مؤسسة الإتحاد الأمريكي للغلال. لكن ذلك لم يتسبب حينها في المواجهة. لكن نشأ ذلك في أفريل 1960، عندما رفضت مصافي النفط الأمريكية الثلاث القائمة في الجزيرة (شال، تكساكو، ستاندار أويل) تكرير النفط الخام الذي اشترته الحكومة من روسيا. ولقد تمت عملية الشراء تلك في إطار اتفاقيات إقتصادية أبرمت عند زيارة ميكويان كوبا في

فيفري1960 . لقد تضمنت هذه الاتفاقيات المحدودة أن تشتري روسيا من كوبا 425 ألف طن من السكر في عام1960 ، ومليون طن في السنوات الأربع المقبلة، وقرضا قدره 100 مليون دولار لاقتناء تجهيزات صناعية وبترولية.

لقد ردت الحكومة الكوبية على ما أبدته المصافي من مقاطعة بأن أممتها. وكان رد الكنغرس الأمريكي أن خوّل للرئيس أيزنهاور أن ينقص من قسط السكر الكوبي 700 ألف طن.

لقد عظمت الثروة عند كاسترو بتأميم جميع المؤسسات الكبرى الأمريكية. وعلقت الولايات المتحدة الأمريكية كل توريد للسكر من كوبا. وسنّت المقاطعة العامة للتجارة مع كوبا.

يوم 3 جانفي 1961 قطعت الولايات المتحدة الأمريكية علاقاتها بكوبا. ويوم 15 أفريل أرست مجموعات من الكوبيين الممولين من المخابرات الأمريكية في خليج الخنازير للسيطرة على الجزيرة. وكان من السهل أن صدتهم الحكومة الكوبية. كما اضطر الرئيس كندي إلى الاعتراف علنا بأن تحضير تلك العملية كان بعون من الحكومة الأمريكية.

بعد مدة قصيرة، في ديسمبر1961 ، انقلب كاسترو إلى "شيوعي". فقد ورد في الإعلان عن معتقده: "أنا ماركسي-لينيني، وسأظل كذلك إلى آخر يوم في حياتي". وأعلن، في ذات المناسبة، عن تأسيس حزب الثورة الاشتراكية الموحد والذي عقد مؤتمره الأول في عام 1975 ، أي بعد قرابة الأربعة عشر عام من تأسيسه.

عادة ما يسلك الشيوعيون طريقا معاكسا. إذ يصوغون برنامجا ويؤلفون حزبا قصد انجاز الثورة وتركيز دكتاتورية البروليتاريا. لكن يجب الاعتراف بأن تصورهم لدكتاتورية البروليتاريا يختلف عن ذاك الذي عند كاسترو.

فكما كان ستالين يذكّر:

ليست دكتاتورية البروليتاريا مجرد نخبة حكومية اصطفتها "بمهارة" يد "استراتيجي مجرب" و"تستند بحكمة" إلى هذه الفئة أو تلك من السكان. إن دكتاتورية البروليتاريا هي تحالف طبقي بين البروليتاريا وجماهير الفلاحين لإسقاط رأس المال ولانتصار الاشتراكية النهائي، شرط أن تكون البروليتاريا القوة القائدة في هذا التحالف. (ستالين: قضايا اللينينية، فقرة 4)

أما كاسترو لم يكن هدفه، وهو يعلن نفسه ماركسيا-لينينيا وكوبا بلدا اشتراكيا، أن يقيم تحالف البروليتاريا وجماهير الكادحين من الفلاحين، وإنما لينتزع من الروس التزاما بحماية كوبا في حال عدوان أمريكي جديد.

ولقد كان لاعلان كاسترو عن معتقده" الماركسي-اللينيني "ذاك انعاسا هاما على العلاقات ببلدان أمريكا اللاتينية. فقد تمتعت الثورة الكوبية بسند قوي من جانب الجماهير الشعبية في أمريكا اللاتينية. ولقد امتد ذلك التعاطف حتى بلغ أوساطا حكومية في مختلف تلك البلدان، حيث وجدت في ذلك فرصة لانتزاع بعض التنازلات من الإمبريالية الأمريكية.

لكن الولايات المتحدة الأمريكية نجحت في جانفي1962 ، وبعد أن افصح كاسترو عن معتقده" الماركسي-اللينيني"، في التصويت بالاجماع على قرار يفيد أن: "إن صلة أي عضو من أعضاء منظمة دول أمريكا بالماركسية-اللينينية لا يتوافق مع نظام الأمركة". وأن "الحكومة الكوبية الحالية والتي أعلنت رسميا أنها حكومة ماركسية-لينينية، لا تتفق مع أهداف نظام الأمركة ومبادئه". (جاك لوفيسك: اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية والثورة الكوبية، صحافة مونتراي الجامعية، 1976، ص 52-53.)

لقد استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية تكتيك الجزة المعتاد حتى تعزل كوبا. وقدمت تنازلات للبرجوازيين في أمريكا اللاتينية في إطار" التحاف من أجل التقدم". وبينت بمثال إرسال جيش البحرية إلى سان دومينيك لسحق انتفاضة شعبية، أنها لا تتسامح مع ميلاد كوبا أخرى في أرض اقتنصتها.

أما كوبا من جهتها، فقد فهمت، وقد رأت خضوع الروس خلال أزمة الصواريخ والسند المحتشم أمام التصعيد الأمريكي في الفيتنام، أن انخراطها في "العائلة الكبيرة من البلدان الاشتراكية" قد لا تكون له الفضائل التي بشرت بها في البداية. فمن البديهي للقيادة الكوبية الآن، أن روسيا لن تخاطر بالدخول في مواجهة عسكرية للولايات المتحدة الأمريكية في سبيل الدفاع عن كوبا.

إذن، لقد أصبح مما لا غنى عنه أن يتطور سند نشيط لكوبا في أمريكا اللاتينية، واتضح أن تأليف حركات أنصار في عدة بلدان سيكون وسيلة لاضعاف الامبريالية الأمريكية. وفي هذا السياق نشر غيفارا، عام1962 ، كراسه "دليل حرب الأنصار"، الذي سيصبح إنجيل عناصر حرب الأنصار في أمريكا اللاتينية.

الغيفارتية

يقيم غيفارا، في كراسه، الثورة الكوبية، ويستخلص منها الدروس، وينصح بها كأنموذج للثوريين في أمريكا اللاتينية.

الأطروحة الأساسية التي يستخلصها غيفارا من الثورة الكوبية هي ضرورة النضال المسلح. وهو يستهل كراسه قائلا: "إن الانتصار المسلح للشعب الكوبي على دكتاتورية باتيستا لم يكن فقط ذلك النصر الذي سجله الملاحظون من أنحاء العالم، بل كان أيضا إطاحة بالدوعمائية القديمة المتعلقة بسلوك الجماهير الشعبية". (غيفارا: حرب الأنصار، مجموعة ماسبيرو الصغيرة، باريس، ص 27.) وفيما تقوم تلك الدوغمائية القديمة التي سقطت حسب غيفارا؟

إنه يقول: "نعتقد أن الثورة الكوبية أنجزت ثلاثة تغيرات أساسية في امريكا اللاتينية عندما برهنت أن:

1. يمكن للقوى الشعبية أن تنتصر في حربها على الجيش النظامي.

2. لا يجب دائما أن ننتظر حتى تجتمع كل الظروف لننجز الثورة، بل إن موطن الانتفاضة قادر على إثارة تلك الظروف.

3. الريف هو المجال الأساسي للنضال المسلح في أمريكا اللاتينية المتأخرة من ناحية التطور". (غيفارا: المرجع السابق)

ينتقد غيفارا، هنا، ودون افصاح، الأحزاب" الشيوعية "التحريفية في أمريكا اللاتينية والتي انخرط جميعها في أطروحات الخروتشوفية حول التعايش السلمي وحول الانتقال السلمي إلى الاشتراكية. وهو يتخذ من قضية" النضال المسلح "خط تمايز بين الثوريين "الحقيقيين "و"أنصار الدوغمائية القديمة" ، أي الأحزاب الشيوعية التحريفية التي تخلت جميعها عن هدف الثورة البروليتارية أملا في لعب دور في السياسة البرجوازية من خلال لعبة البرلمانية.

لكن التبشير بالنضال المسلح ليس مرادفا للقطع مع الدوغمائية القديمة. يقول ستالين:

> ومن الضروري أن نلاحظ أن طريق الإصلاحات أي الطريق الدستوري لا يلغي "النضال الثوري" و"الأعمال الثورية" أبدا؛ فعندما نحدد طابع أحد الأحزاب كحزب ثوري أو كحزب إصلاحي يجب أن نأخذ بعين الاعتبار كعنصر حاسم لا "الأعمال الثورية" في حد ذاتها وإنما الأهداف والمهمات السياسية التي باسمها اتخذ الحزب تلك الأعمال واستعملها. (ستالين :القضية القومية في يوغسلافيا مرة أخرى.)

ومثلما سنرى لاحقا، لا يضع غيفارا موضع تساؤل ما عند الأحزاب التحريفية من «أهداف ومهمات سياسية» وإنما فقط ما تستخدمه من «وسائل»، أي تخليها عن «الأنشطة الثورية». ويتابع غيفارا قائلا: "لم يبق إلا أن يُطلب منا: لم يكافح الأنصاري؟ ولقد توصلنا إلى الخلاصة التي لا مفر منها وهي أن الأنصاري إنما هو مصلح إجتماعي". (غيفارا: المرجع السابق، ص 29) إن غيفارا يوكل إلى الأنصار نفس «الأهداف والمهمات السياسية» التي للأحزاب التحريفية، وهي «الأهداف والمهمات السياسية» الخاصة

بالبرجوازية الليبرالية في أمريكا اللاتينية. وذلك مثلما يقول: "خوزيه مارتي هو معلم ثورتنا"! طبعا، ليس لينين أو ستالين، وإنما خوزيه مارتي!

الغيفارتية وانكار دور البروليتاريا القيادي

لقد صاغ ماركس وأنجلس، منذ ما يزيد عن130 عام، المفاهيم النظرية التي يرتكز عليها الشيوعيون لتحديد ما لهم من «أهداف ومهمات سياسية». فقد أكدا بوضوح في بيان الحزب الشيوعي أن:

> من بين جميع الطبقات التي تعارض البرجوازية اليوم، البروليتاريا هي الطبقة الثورية الوحيدة حقا. أما الطبقات الأخرى فتزيحها وتحطمها الصناعة الكبيرة، في حين البروليتاريا هي النتاج الحقيقي. (ماركس-أنجلس: بيان الحزب الشيوعي)

أنها هذه الطبقة، طبقة العمال، هي التي يمثل الشيوعيون مصالحها. مثلما قال ماركس:

> ليس لهم أبدا مصالح تفصلهم عن مجمل البروليتاريا، [لكن]، ما يمتازون به عن بقية البروليتاريا هو فضيلة العلم بظروف سير الحركة البروليتارية وأهدافها العامة. (ماركس-أنجلس: بيان الحزب الشيوعي) (37)

لاحقا، طور لينين أطروحات ماركس وأنجلس في ظروف الإمبريالية والثورة البروليتارية. ويشرح ستالين ذلك كما يلي:

> فقد ناضل ماركس وأنجلس في المرحلة السابقة عن الثورة (ونقصد هنا الثورة البروليتارية)، مرحلة لم تتطور فيها الإمبريالية بعدُ، مرحلة التحضير البروليتاري للثورة البروليتارية، مرحلة لم تكن الثورة البروليتارية فيها قد أصبحت بعدُ أمرا محتوما على نحو مباشر وعملي. أما لينين، تلميذ ماركس

وأنجلس، فقد ناضل في مرحلة الإمبريالية المتطورة، مرحلة تتطور فيها الثورة البروليتارية، وفي وقت قد انتصرت فيه الثورة البروليتارية في بلد واحد فحطمت فيه الديمقراطية البرجوازية، ودشنت عهد الديمقراطية البروليتارية؛ عهد السوفييتات. (ستالين: أسس اللينينية، الفصل الأول.)

فعلى هذا النحو ولدت اللينينية، التي هي:

اللينينية هي ماركسية عصر الإمبريالية والثورة البروليتارية. وبتعبير أدق اللينينية هي نظرية وتكتيك الثورة البروليتارية بوجه عام، ونظرية وتكتيك دكتاتورية البروليتاريا بوجه خاص. (ستالين: أسس اللينينية، الفصل الأول.)

ولقد أوجز ستالين هذه النظرية اللينينية عن الثورة البروليتارية في ثلاث أطروحات أساسية:

الموضوعة الأولى. إن سيطرة رأس المال المالي في البلدان الرأسمالية المتقدمة، وإصدار الأوراق المالية، من حيث هو إحدى عمليات رأس المال المالي الرئيسية، وتصدير رؤوس المال إلى مصادر المواد الأولية، من حيث هو أحد أسس الإمبريالية والسلطان المطلق للطغمة المالية، من حيث هو نتيجة لسيطرة رأس المال المالي، كل ذلك يكشف الصفة الطفيلية الفظة للرأسمالية الاحتكارية، ويزيد الإحساس بنير التروستات والسنديكات الرأسمالية مائة مرة، وينمي سخط البروليتاريا ضد أسس الرأسمالية، ويسوق الجماهير إلى الثورة البروليتارية من حيث هي وسيلة الخلاص الوحيدة. (راجع: لينين، الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية، الأعمال الكاملة، المجلد 19).

ومن هنا استنتاج أول: احتدام الأزمنة الثورية في البلدان الرأسمالية، وتعاظم عناصر الانفجار أكثر فأكثر على الجبهة الداخلية، العمالية، في بلدان «المتروبول».

الموضوعة الثانية. أن تصدير الرساميل المتعاظم إلى البلدان المستعمرة والتابعة، وتوسيع «مناطق النفوذ» والممتلكات المستعمرة حتى شملت مجموع الكرة الأرضية، وتحول الرأسمالية إلى نظام عالمي قوامه الاستعباد المالي والاضطهاد الاستعماري لأغلبية السكان العظمى في الكرة الأرضية من قبل قبضة من البلدان «المتقدمة» – كل ذلك أدى، من جهة، إلى جعل مختلف الاقتصاديات الوطنية ومختلف الأراضي الوطنية، حلقات من سلسلة واحدة اسمها الاقتصاد العالمي، وأدى من جهة أخرى إلى تقسيم سكان الكرة الأرضية إلى معسكرين: إلى قبضة البلدان الرأسمالية «المتقدمة» التي تستثمر وتضطهد المستعمرات الشاسعة والبلدان التابعة، إلى أغلبية عظمى من البلدان المستعمرة والتابعة المضطرة إلى القيام بنضال في سبيل التحرر من النير الإمبريالي (راجع: لينين، الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية، الأعمال الكاملة، المجلد 19).

من هنا استنتاج ثانٍ: احتدام الأزمة الثورية في البلدان المستعمرة، وتعاظم عناصر التمرد أكثر فأكثر ضد الإمبريالية على الجبهة الخارجية، جبهة المستعمرات.

الموضوعة الثالثة: إن الامتلاك الاحتكاري لـ«مناطق النفوذ» وللمستعمرات، وتطور البلدان الرأسمالية تطورا غير متساوي مما يؤدي إلى صراع وحشي من أجل تقسيم العالم تقسيما جديدا بين البلدان التي تم لها الاستيلاء على أرض والبلدان التي ترغب في نيل «حصتها»، والحروب الإمبريالية من حيث هي الوسيلة الوحيدة لإعادة «التوازن» المفقود - كل ذلك يؤدي إلى احتدام النضال على الجبهة الثالثة، بين الدول الرأسمالية، مما يضعف الإمبريالية ويسهل اتحاد الجبهتين الأوليتين ضد الإمبريالية: الجبهة العمالية الثورية وجبهة تحرير المستعمرات (راجع: لينين، الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية، الأعمال الكاملة، المجلد 19).

ومن هنا استنتاج ثالث: حتمه الحروب في عهد الإمبريالية، وحتمية تكتل الثورة البروليتارية في أوروبا مع ثورة المستعمرات في الشرق، فتؤلف الاثنتان جبهة الثورة الموحدة العالمية ضد جبهة الإمبريالية العالمية.

إن جميع هذه الاستنتاجات تجتمع، لدى لينين، في هذا الاستنتاج العام بأن «الإمبريالية هي عشية الثورة الاشتراكية» (لينين، الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية، المقدمة، الأعمال الكاملة، المجلد 19، ص 71، الطبعة الروسية). (ستالين: أسس اللينينية، الفصل الأول.)

لكن كل ذلك عند غيغارا ما هو، دون شك، إلا دوغمائية قديمة. فلا يريد غيفارا أن يكون ممثل مصالح الطبقة الثورية الوحيدة حتى النهاية: البروليتاريا. فعنده" الأنصاري هو ثوري فلاحي، يترجم رغبة جماهير الفلاحين الغفيرة: أن يمتلك أرضا، أن يمتلك وسائل إنتاج وماشية، كل ما كان يطمح إليه منذ سنين مما يؤلف حياته ويؤلف الأرض التي سيموت فوقها". (غيفارا: المرجع السابق، ص 41.)

ومن البديهي أن ليس هنالك من صلة بين ذلك واللينينية، نظرية الثورة البروليتارية. وإنما هو تخلي صريح عن دور البروليتاريا القيادي.

تحالف البروليتاريا والفلاحين

رغم تأكيد اللينينية على دور البروليتاريا القيادي، فإنها لا تقلل من أهمية القضية الفلاحية. بالعكس، فالقضية الفلاحية مرتبطة ارتباطا متينا بدور البروليتاريا القيادي. إنها قضية حلفاء البروليتاريا في النضال في سبيل السلطة، قضية تحويل الفلاحين من حلفاء للبرجوازية إلى حلفاء للبروليتاريا. وكما يقول ستالين:

بهذا المعنى، تكون قضية الفلاحين جزءا من القضية العامة لدكتاتورية البروليتاريا، وهي، بهذه الصفة، تمثل قضية من القضايا الحيوية الكبرى في اللينينية. (ستالين: أسس اللينينية، الفصل الخامس.)

فالمشكل عند غيفارا، أنه عندما يضع القضية الفلاحية في الصدارة، فإنه لا يدرجها في «القضية العامة لدكتاتورية البروليتاريا»، وإنما في القضية العامة للثورة البرجوازية!

كان غيفارا يناضل ضد "الدوغمائية القديمة" عند الأحزاب التحريفية في أمريكا اللاتينية وما لتلك الأحزاب من نظرة عدم اكتراث، أو سلبية نحو القضية الفلاحية. لكن مثل نظرة عدم الاكتراث تلك، أو مثل تلك السلبية، لم تكن عند تلك الأحزاب بسبب دفاعها عن اللينينية، بل بالعكس. تفسر بعدم إيمان تلك الأحزاب بدكتاتورية البروليتاريا، وكونها لا تسعى حتى تبلغ البروليتاريا السلطة. ولقد كان ذلك واضحا في بيانات موسكو التحريفية عامي 1957 و1960، حيث جرى تركيز اهتمام البروليتاريا في أشباه المستعمرات على التحالف مع البرجوازية الوطنية. لقد تمحورت تلك البيانات، بالأساس، حول كسب الاستقلال الوطني بالنسبة للمستعمرات والدفاع عنه بالنسبة لأشباه المستعمرات. أما الفلاحون فيندر أن يذكروا، وإن صادف أن جرى ذلك فكحليف في النضال في سبيل الاستقلال الوطني. وما من ذكر للثورة الزراعية، فلا يجري الحديث إلا عن "إصلاحات زراعية". ولقد جرى التخلي كليا عن مفهوم «دكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية» لصالح مفهوم "الديمقراطية الوطنية" في ظل هيمنة البرجوازية الوطنية والبرجوازية الصغيرة، حيث ليس هنالك سوى" إمكانية العمل على تركيز إصلاحات زراعية وغيرها من التغييرات الديمقراطية والاجتماعية". (إعلان الأحزاب الشيوعية والعمالية، نوفمبر 1960)

عوض أن نرى عند غيفارا رد الإعتبار للينينية في هذه القضية، نجده يعارض النظريات التحريفية بإقرار موقف عدم الاكتراث والسلبية نحو البروليتاريا. إنه يتجاهل فعليا البروليتاريا بكل بساطة.

مما لا شك فيه أن البروليتاريا تمثل أقلية من السكان في معظم بلدان أمريكا اللاتينية. لكن الأمر كان كذلك أيضا في روسيا القيصرية !ولم يمنع ذلك لينين من يعلن أن:

على البروليتاريا، من زاوية مصلحتها الخاصة، أن تتولى قيادة الثورة الفلاحين. (لينين: البرنامج الزراعي للاشتراكية-الديمقراطية، نوفمبر-ديسمبر 1907، الأعمال المختارة، مجلد 3، ص 258، طبعة أنجليزية، نيويورك)

وأن يعمم هذه الأطروحة على النطاق العالمي أمام المؤتمر الشيوعي العالمي الثاني، عندما أعلن:

إن الخاصية الجوهرية التي تميز هذه البلدان هي أن العلاقات السابقة عن الرأسمالية لا تزال تهيمن فيها، وبالتالي، لن يتعلق الأمر بحركة بروليتارية صرفة. فالبروليتاريا الصناعية غير موجودة في هذه البلدان تقريبا. ورغم ذلك ضمنا، ويجب علينا أن نضمن فيها أيضا، دور القائد. (لينين: مؤتمر الأممية الشيوعية الثاني، الأعمال الكاملة، مجلد 31، ص 250)

لكن، لماذا يجب أن تكون البروليتاريا على وجه التحديد هي قائدة الفلاحين، ولماذا يجب أن يؤسس الشيوعيون نشاطهم على البروليتاريا ؟

لم تكن جماهير الفلاحين عاجزة عن النمو كطبقة فحسب، بل كانت أيضا تتجزأ، عاما فعاما، إلى برجوازية (كولاك) وإلى فلاحين فقراء (بروليتاريين وأنصاف بروليتاريين). ثم إن الفلاحين، لعلة عدم تكتلهم، وبحكم وضعهم كمالكين صغار، لا يتقبلون التنظيم بمثل السهولة التي تتقبله البروليتاريا، ولا يتبعون الحركة الثورية بمثل السرعة التي يتبعها العمال. (تاريخ الحزب البلشفي، ص 22، منشورات دار الفارابي، بيروت 1954.)

الغيفارتية شكل من أشكال المنشفية

"العقائد الجديدة "عند الغيفارتية المتعلقة بسير الثورة ليست حتى بالجديدة. وبالفعل، فلم تكن تزيد عن كونها استعادة للنظريات الانتهازية القديمة، المنشفية، في شكل جديد.

لقد خاض لينين نضالا شرسا ضد المناشفة حول هذه القضايا، ولم تكن خلافاتهم تتعلق بالثورة الروسية فقط. فلما كان لينين ينتقد تكتيك المناشفة، إنما كان يفضح في ذات الوقت تكتيك الانتهازية العالمية. ومن جهة أخرى، لما كان لينين يشرح تكتيك البلاشفة في مرحلة الثورة البرجوازية ويقيم التمييز بين الثورة البرجوازية والثورة البروليتارية، صاغ، في ذات الوقت، مبادئ التكتيك الماركسي في مرحلة الانتقال من الثورة البرجوازية إلى الثورة البروليتارية. وإنه لأمر حيوي أن نفهم اختلاف البلشفية عن المنشفية في هذه القضايا. لقد شرح ستالين هذا الاختلاف كما يلي:

> في عام 1905 نشأت خلافات بين البلاشفة والمناشفة في روسيا في قضية طابع الثورة الروسية. كان البلاشفة يدافعون عن فكرة تحالف البروليتاريا مع الفلاحين من خلال هيمنة البروليتاريا. كان البلاشفة يؤكدون على وجوب أن تسير الأمور في اتجاه دكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية الثورية حتى ننتقل مباشرة من الثورة الديمقراطية البرجوازية إلى الثورة الاشتراكية من خلال ضمان سند الفلاحين الفقراء. أما المناشفة الروس فقد عارضوا فكرة هيمنة البروليتاريا على الثورة الديمقراطية البرجوازية؛ وعوض سياسة تحالف البروليتاريا مع الفلاحين فضلوا سياسة الاتفاق مع البرجوازية الليبرالية، وأما دكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية الثورية فقد رسموا لها مخططا بلانكيا رجعيا يناقض تطور الثورة البرجوازية. (ستالين: في بعض قضايا تاريخ البلشفية.)

اليوم، المناشفة ليسو ضد الفلاحين. فهم يعلنون أنفسهم، مثل غيفارا، ممثلي الفلاحين. لكن، في حين يسعى البلاشفة إلى تركيز» مقتطف ستالين «، فإن مناشفة من طراز غيفارا يسعى إلى ممارسة سياسة تحالف الفلاحين والبرجوازية الليبرالية وسياسة عزل البروليتاريا. لقد ظهرت سياسة التحالف مع البرجوازية الليبرالية على نحو ملموس بالنسبة لفرق الأنصار الغيفارتية من خلال التحالف مع الأحزاب التحريفية. فهذه الأخيرة تمثل مصالح البرجوازية الليبرالية في المدن، أما فرق الأنصار فتمثل الكولاك. للبرجوازية الليبرالية مصلحة في دعم "المصلح الفلاحي"، لأن لها مصلحة في إصلاح زراعي يوسع السوق الرأسمالي الوطني.

في الفصل الذي يتناول الاستراتيجيا والتكتيك من كتاب أسس اللينينية، يعرض ستالين مخططا لمراحل الثورة الروسية:

> المرحلة الأولى: من 1903 إلى شباط 1917. الهدف: القضاء على القيصرية، وتصفية بقايا القرون الوسطى تصفية تامة. القوة الأساسية في الثورة: البروليتاريا. الاحتياطي المباشر: جماهير الفلاحين. اتجاه الضربة الأساسية: عزل البرجوازية الملكية الليبرالية، التي تسعى لكسب الفلاحين ولتصفية الثورة عن طريق اتفاق مع القيصرية. برنامج ترتيب القوى: تحالف البروليتاريا مع جماهير الفلاحين. (ستالين: أسس اللينينية، فصل سابع.)

بعد أن تجتاز البروليتاريا هذه المرحلة فإنها تمر مباشرة، بقيادة حزبها، إلى المرحلة الثانية التي يصفها ستالين كما يلي:

> المرحلة الثانية: من آذار 1917 إلى أكتوبر 1917. الهدف: القضاء على الإمبريالية في روسيا والخروج من الحرب الإمبريالية. القوة الأساسية للثورة البروليتاريا. الاحتياطي المباشر: الفلاحون الفقراء. احتياطي محتمل: طبقة عمالية البلدان المجاورة. اللحظة المناسبة: الحرب التي استطالت وأزمة الإمبريالية. اتجاه الضربة الأساسية عزل الديمقراطية البرجوازية الصغيرة (المناشفة، الاشتراكيون الثوريون) التي تسعى لكسب جماهير الفلاحين الكادحين وإنهاء الثورة عن طريق اتفاق مع الإمبريالية. برنامج ترتيب القوى: تحالف البروليتاريا مع الفلاحين الفقراء. (ستالين: أسس اللينينية. فصل سابع.)

لم تكن هذه الخطة أمرا خاصا بروسيا. ولنتذكر أن لينين:

> مع تبيانه صحة خطة الماركسيين في مرحلة الثورة البرجوازية، يضع في الوقت نفسه مبادئ الخطة الماركسية في مرحلة الانتقال من الثورة البرجوازية إلى الثورة الاشتراكية. (تاريخ الحزب البلشفي، ص 97، فصل ثالث، فقرة 3.)

لكن كل ذلك عند غيفارا والقيادة الكوبية ما هو إلا "عقائد قديمة." فهم يفضلون عقائد خوزيه مارتي. ولا تنطوي خطتهم الاستراتيجية إلا على مرحلة واحدة يمكن عرضها كما يلي: الهدف: تعويض البرجوازية الكوبية المرتبطة بالإمبريالية الأمريكية. القوة الرئيسية: البرجوازية الصغيرة. الاحتياط المباشر: الفلاحون. الاحتياط المحتمل: البرجوازية الصغيرة ومن المحتمل أيضا فئة من البرجوازية في بلدان أمريكا اللاتينية. اتجاه الجهد الرئيسي: السعي لعقد تحالف جديد مع الإمبريالية الأمريكية أو مع قوة إمبريالية منافسة لها: روسيا.

البلشفية وحرب الأنصار

لقد سبق أن قلنا كيف أنه في إطار "الخطة الاستراتيجية" يجب أن نفهم أطروحة غيفارا الثالثة والتي تفيد: "ألا يجب دائما أن ننتظر حتى تجتمع كل الظروف لننجز الثورة، بل إن موطن الانتفاضة قادر على إثارة تلك الظروف." (غيفارا: مرجع سابق، ص 27)

هذه الأطروحة ذات روح المغامرة والبلانكية إنما هي معادية للينينية تماما.

إنها تعارض «قانون الثورة الأساسي» مثلما صاغه لينين كما يلي:

> إن قانون الثورة الأساسي، الذي أثبتته جميع الثورات، ولاسيما الثورات الروسية الثلاث في القرن العشرين، هو: لا يكفي، لأجل الثورة، أن تشعر جماهير المستثمرين والمضطهَدين باستحالة العيش كالسابق، وأن تطالب بتغييرات. فيجب، لأجل الثورة، أن يكون المستثمرون لم يعد في استطاعتهم أن يعيشوا ويحكموا كالسابق. فعندما يصبح «الذين تحت» لا يريدون العيش كالسابق، و«الذين فوق» لا يستطيعون الحكم كالسابق. عندئذ فقط تستطيع الثورة أن تنتصر. (لينين، ورد في: ستالين: أسس اللينينية، الفصل الثالث، فقرة 3.)

ويقول لينين أيضا:

يمكن اعتبار اللحظة قد حانت للمعركة الحاسمة إذا: 1. كانت القوى الطبقية المعادية لنا قد غرقت بصورة كافية في الصعوبات، ومزق بعضها بعضا إلى حد كاف، وأضعفت نفسها إلى درجة كافية، بنضال هو فوق طاقتها؛ 2. وإذا كانت جميع العناصر المتوسطة، المترددة، المتخاذلة، المترجرجة -أي البرجوازية الصغيرة، الديمقراطية البرجوازية الصغيرة، بوصفها مختلفة عن البرجوازية – قد انفضحت بصورة كافية أمام الشعب، واكتسبت الخزي والعار بإفلاسها العملي؛ 3. وإذا بدأت في صفوف البروليتاريا، وأخذت ترتفع بقوة، حالة فكرية جماهيرية لتأييد أشد الأعمال حزما وعزما وجرأة ثورية، ضد البرجوازية. عندها تكون الثورة قد نضجت، وعندها، إذا أخذنا بعين الاعتبار جميع الشروط المذكورة أعلاه... وإذا اخترنا اللحظة اختيارا صحيحا، يكون انتصارنا مضمونا. (لينين، ورد في: ستالين: أسس اللينينية، الفصل السابع، فقرة 4.)

فلا يقف الأمر عند كون غيفارا لا يأخذ بتعاليم لينين، وإنما أطروحته كذبتها تجربة الثورة الكوبية نفسها، من خلال فشل الهجوم على ثكنة المونكادا وفي غرانما وفي بؤر الأنصار التي نسجتها كوبا في أمريكا اللاتينية بما فيها تلك التي كانت بقيادة غيفارا في بوليفيا.

ولا يعني ذلك أن البلاشفة يرفضون حرب الأنصار كشكل من أشكال النضال. فقد حدد لينين في مقاله حرب الأنصار المقولتان الأساسيتان اللتان يتوجب على كل ماركسي أن يستحضرهما الشيوعي عند دراسة أشكال النضال:

أولا، تختلف الماركسية عن جميع أشكال الاشتراكية البدائية، بكونها لا تقيد الحركة بشكل واحد بعينه من أشكال النضال. فهي تقر بأكثر أشكال النضال تنوعا؛ فلا "تختلق" تلك الأشكال وإنما تعممها وتنظمها، لتعبر تعبيرا واعيا عما ينبثق من نضال الطبقات الثورية نفسه من أشكال في مجرى الحركة، فهي تنظيم تلك الأشكال وتبث فيها الوعي. إن الماركسية تعارض على نحو مطلق جميع الصيغ المجردة وجميع الوصفات الجاهزة، وهي تستوجب النظر الثاقب في نضال الجماهير المتعاظم، والذي تنبثق عنه دون انقطاع أساليب جد متنوعة

وجديدة من الدفاع والهجوم بقدر ما تتطور الحركة ويعظم وعي الجماهير الطبقي وتتفاقم الأزمات الاقتصادية والسياسية. لذا، لا تنكر الماركسية أي شكل من أشكال النضال. (لينين: حرب الأنصار. فقرة 1.)

لكن عند "المنظرين" الكوبيين لم تكن حرب الأنصار كأحد أشكال النضال في إطار نضال الجماهير، في إطار» تطور الحركة، وتعاظم وعي الجماهير، وتفاقم الأزمات الاقتصادية والسياسية«، وإنما كنشاط مجموعة صغيرة من الأنصار، وكشكل له موضع الصدارة على نحو عقائدي ومذهبي على حساب أشكال النضال الأخرى.

يذكرنا لينين:

ثانيا، تستوجب الماركسية على نحو مطلق أن نتناول قضية أشكال النضال تناولا تاريخيا. وإن تناول هذه القضية خارج الوضع التاريخي الملموس إنما يكشف جهلا بأبجدية المادية الجدلية. ففي مختلف مراحل التطور الاقتصادي، وتبعا لاختلاف الظروف السياسية والقومية والثقافية والمعيشية، الخ، تنبثق أشكال نضال مختلفة لتصبح رئيسية في النضال، وتتغير في هذا المجال الأشكال الثانوية والتابعة بدورها. (لينين: حرب الأنصار، فقرة 1.)

لكن عند القادة الكوبيين فإن التبشير بحرب الأنصار والانتفاضات في بعض بلدان أمريكا اللاتينية إنما تجري في ظل ازدراء «الظروف التاريخية الملموسة» فلا تجري إلا وفق مصالح كوبا الوطنية. لقد كانت البرجوازية "الحمراء" تحرض آلاف الثوريين في أمريكا اللاتينية على التوجه إلى الغابات وتأليف "بؤر انتفاض" لطرد الإمبريالية الأمريكية وحماية مصالحها الوطنية.

لقد لخص لينين الموقف البلشفي من حرب الأنصار كما يلي:

يجب على حزب البروليتاريا ألا يعتبر أبدا حرب الأنصار الوسيلة الوحيدة أو حتى الوسيلة الرئيسية في النضال. وأن تلك الوسيلة إنما يجب أن تخضع

لغيرها، وأن تستعمل بقدر ملائم لمنزلتها بالنسبة لما هو أساسي. وإنه يجب الارتقاء بها بما تحدثه فيها الاشتراكية من تربية وتنظيم. فإن لم يتحقق هذا الشرط الأخير، فإن جميع وسائل النضال دون استثناء في المجتمع البورجوازي تقرّب البروليتاريا من شتى الفئات غير البروليتارية التي أرفع منها أو أدنى منها، فتبلى وتتفسخ وتفقد كرامتها وقد جرفها مجرى الأمور العفوي. (لينين: حرب الأنصار، فقرة 4.)

ويتابع لينين عارضا أمثلة مختلفة لذلك التفسخ:

فالإضرابات وقد تركت لمجرى الأحداث العفوي إنما تنحط إلى "مصاهرة"، أي إلى تفاهم بين العمال وأربابهم ضد المستهلكين. ويصبح البرلمان بيت دعارة تتاجر فيه عصابة من الساسة البورجوازيين، بالجملة وبالتفصيل، كلا من «الحريات العامة»، و«الليبرالية»، و«الديمقراطية»، والتشيع للجمهورية، والعداء للاكليروس، والاشتراكية، وغير ذلك من البضائع الدارجة. وتنحط الصحافة إلى منزلة وسيط قذر في متناول الجميع وإذا بها أداة لإفساد ذوق الجماهير فتثير على نحو فج أكثر غرائز الناس بدائية، الخ. ولا تملك الاشتراكية-الديمقراطية وسائل نضالية كونية حتى تفصل البروليتاريا عن الفئات الأعلى أو الأدنى منها بجدار صيني. فالاشتراكية-الديمقراطية (البلشفية — الكاتب) تستخدم وسائل تختلف باختلاف المراحل، وتخضع دائما تطبيق تلك الوسائل لشروط فكرية وتنظيمية محددة تحديدا دقيقا وفق الظروف. (لينين: حرب الأنصار، فقرة 4.)

غيفارا وكاسترو ومن لف لفهما لم يخضعوا حرب الأنصار إلا لاستراتيجيتهم في الدفاع عن المصالح الوطنية الكوبية، وهو أمر يلاقي تفهما صلب مجموعات الساسة البرجوازيين من الأحزاب التحريفية. وعلى هذا النحو لا يزال القادة الكوبيون، رغم ما يبدون من انكار للأحزاب التحريفية القديمة وما لها من خيانة وإصلاحية، لا ينفكون يعقدون الاتفاقات مع تلك الأحزاب بالذات. ولم يمر عامان على صدور كراس غيفارا حتى انعقدت ندوة أحزاب

أمريكا اللاتينية التحريفية في هافانا برعاية الحزب الكوبي. ولقد جرى انجاز اتفاق بين كوبا وأغلب الأحزاب التحريفية في قضية النضال المسلح. ولقد التزم المشاركون بمساندة النضال المسلح في ستة بلدان هي :فينيزولا وكولومبيا وغواتيمالا والهندوراس والباراغواي وهايتي. (جاك لوفيسك: اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية والثورة الكوبية، ص 126) أما في بقية البلدان، فيمكن الاستمرار على نفس "العقائد القديمة" فيما يتعلق بالانتقال السلمي وتصبح الأحزاب التحريفية في تلك البلدان طرف حوار" ثوري "مفضل بالنسبة للثورة الكوبية في أمريكا اللاتينية.

غيفارا و"النظام الاقتصادي العالمي الجديد"

بعد أن كان القادة الكوبيون يفتشون، في البداية، عن سند في بلدان أمريكا اللاتينية، أصبحوا لاحقا مبشرين بحرب الأنصار فيها. لكن ذلك لم يمنعهم من أن يضعوا حدا للتبشير بحرب الأنصار ليساندو حركات إصلاحية صريحة من قبل الوحدة الشعبية بقيادة آلاند في الشيلي، أو دكتاتوريات عسكرية من قبيل فالاسكو في البيرو وحتى الدكتاتورية العسكرية الأرجنتينية خلال الحرب على حزر المالوين. وسيكون الأمر على ذلك النحو أيضا بالنسبة لحركات الأنصار نفسها. ومثال ذلك حركة الفهود السود في الولايات المتحدة الأمريكية وجبهة تحرير الكيباك في كندا تتفسخان ومن كانوا أعضاءهما يقدمون سندهم لما تقدمه كل من البرجوازية السوداء والكيباكية من حلول إصلاحية صريحة. وماذا يمكننا أن نقول في ريجيس دوبراي وقد أصبح اليوم مستشار رئيس فرنسا الإمبريالية.

وبالفعل لم يكن في الأمر شيئا مفاجئا. فتلك القوى تمثل مصالح فئات من البرجوازية التي تسعى إلى ترتيب جديد لعلاقاتها مع الإمبريالية) الأمريكية بوجه خاص(، إلى نظام اقتصادي عالمي جديد. ولقد كان غيفارا ناطقا رسميا باسمها عندما أعلن:"نعتبر أن الحل الوحيد الصحيح للمشاكل الراهنة للإنسانية هو الإلغاء التام لاستغلال البلدان الرأسمالية المتطورة البلدان التابعة". (غيفارا: المرجع السابق، ص 199)

يقول لينين:

> إن انقسام الأمم إلى أمم مضطهدة وأمم مضطهدة.. . هو جوهر الإمبريالية. (لينين: البروليتاريا الثورية وحق الأمم في تقرير مصيرها. الأعمال الكاملة، مجلد 21، ص 425، طبعة فرنسية.)

وبين ضرورة تحطيم الإمبريالية بتحالف الثورة الإمبريالية في البلدان المتقدمة مع الثورة في المستعمرات وأشباه المستعمرات والبلدان التابعة في جبهة موحدة للثورة ضد جبهة الإمبريالية العالمية. أما غيفارا والقادة الكوبيين فقد كانوا يبشرون من جهتهم بتكوين جبهة من برجوازيات الأمم التي تضطهدها الإمبريالية الأمريكية قصد خلق" نظام اقتصادي عالمي جديد". ولتحقيق هذا الهدف، كانوا مستعدين حتى للتشجيع على" أنشطة ثورية."

لكن، وكما يقول ستالين:

> فعندما نحدد طابع أحد الأحزاب كحزب ثوري أو كحزب إصلاحي يجب أن نأخذ بعين الاعتبار كعنصر حاسم لا «الأعمال الثورية» في حد ذاتها وإنما الأهداف والمهمات السياسية التي باسمها اتخذ الحزب تلك الأعمال واستعملها. (ستالين: حول القضية القومية في يوغسلافيا مرة أخرى.)

مغامرات جديدة :الكاستروية

لقد ظهر في جانفي1967 ، كتاب ريجيس دوبراي المعنون ثورة في الثورة، الذي سينال شهرة عظيمة. لقد كتبه إثر جملة من الحوارات دارت بين دوبراي وكاسترو. ولقد كان معلوما أن تصاريح الأول هي في الأصل تصاريح الثاني. وطبعت منه فورا 100 ألف نسخة وأصبح أحد النصوص الأساسية في الدراسة في خلايا الحزب الكوبي.

إن سياق ظهور هذا الكتاب مهم شأنه شأن سياق ظهور كراس غيفارا. فقد استأنفت الولايات المتحدة الأمريكية إمطار شمال فيتنام بالقنابل. واتضح للقادة الكوبيين مرة أخرى

من خلال الرد المحتشم من جانب الروس هشاشة "الحماية الروسية". واشتد قلق الكوبيين إثر العدوان العسكري الأمريكي على جمهورية الساندومينيك.

ولما كان ما بدر عن الروس غير كاف، فإنهم شرعوا يبدون اهتماما بتطوير علاقات دولة بدولة مع الأنظمة القائمة في أمريكا اللاتينية. وأخيرا، شرع الحزب التحريفي الفينيزويلي الذي قطع سنوات عديدة من النضال المسلح يسعى، منذ نهاية عام 1965، إلى التخلي عن ذلك النضال بعد أن مر بعدة تقلبات. فإن تجسد ذلك التخلي، فسوف يعني ذلك تغيرا كبيرا بالنسبة لكوبا التي لطالما ساندت حركات الأنصار تلك على نطاق واسع وبحيوية وبشرت بها. لقد كان في سياق عالي التهديد من هذا القبيل أن أطلق غيفارا نداءه لخلق "فيتنام أو إثنان أو ثلاثة"، وصدر كتاب "ثورة في الثورة."

في هذا الكتاب لا يقع تناول ضرورة النضال المسلح. فذلك أمر مكتسب. وإنما تنتقد جملة من مفاهيم النضال المسلح. فإذا بتحامل على الدفاع الذاتي المسلح الذي جرت تجربته في كولومبيا وبوليفيا وتمثل في أن ينتزع الفلاحون الأراضي أو أن ينتزع العمال المصانع ووصف كل ذلك بالاقتصاوية والعفوية. وإذا بانتقاد للدعاية العسكرية ومثالها الفيتنامي، حيث يسعى الأنصار إلى تطوير سند شعبي عبر العمل السياسي وتبرير كل ذلك بكون سكان أمريكا اللاتينية شديدو التناثر. كما كان هناك استبعاد للنموذج الصيني وما فيه من قاعدة الأنصار لعدم إمكان تطبيقه في أمريكا اللاتينية نظرا لعدم وجود مساحة شاسعة. وكبديل لكل ذلك كان مقترك دوبراي-كاسترو يتمثل في القوة الاستراتيجية المتحركة :بؤر الأنصار، التي كانت عامل انتصار الثورة الكوبية. وإذا بالنموذج الكوبي يرتقي إلى منزلة عقيدة. لكن ما له أكبر أهمية في ذلك الكتاب هو انتقاد خضوع الأنصار للحزب. فكان هنالك انتقاد التجربة السلبية الفينيزولية ومديح للتجربة الإيجابية الكوبية.

الكاستروية تدفن البروليتاريا

عندما يحدد كاسترو ودوبراي ما لهما من «أهداف ومهمات سياسية» فإنهما يقدمان هما الآخران خوزيه مارتي. ولكنهما أكثر صراحة من غيفارا في ذلك. إنهما يعلنان: "إن نضال تحرر وطني معاد للإمبريالية لا يمكن أن يجري برعاية الماركسية-اللينينية والبروليتاريا في ظروف أمريكا اللاتينية التي تتميز بوجود طبقة بروليتارية ضعيفة التعداد، ومخترقة كثيرا بالاصلاحية، ومتبرجزة بسبب الأجور المرتفعة نسبيا التي تدفع في المؤسسات الكبرى الاحتكارية الأجنبية أو الوطنية. " (62)لقد كنا تعرضنا آنفا إلى كيف أن ضعف البروليتاريا العددي في بلد بعينه ليس بعامل يدفعنا إلى إنكار دورها القيادي، ورغم ذلك نرى كيف أن دوبراي وكاسترو يذهبان إلى أبعد من غيفارا، فإذا بهما يضعان مجمل بروليتاريا أمريكا اللاتينية في مصاف الأرستقراطية العمالية!

إن عمال مناجم الشيلي وبوليفيا وعمال مصانع ساوباولو سيبتهجون كثيرا عندما يسمعون أنهم جميعا قد "تبرجزوا" في نظر دوبراي وكاسترو. فهل من الضروري أن نتساءل كيف ينظران إلى بروليتاريا البلدان الإمبريالية!؟

إذن، إذا كانت البروليتاريا قد تبرجزت إلى حد أنها أصبحت غير مؤهلة لقيادة نضال التحرر الوطني، فما هي الطبقة التي لها من النقاوة م يجعلها مؤهلة لقيادة" نضال التحرر الوطني المعادي للإمبريالية"؟ من البديهي أن ما من طبقة غير للبرجوازية الصغيرة يمكن أن يكون لها ذلك. إن دوبراي وكاسترو يعلنان" :الطلبة هم طليعة الثورة في أمريكا اللاتينية (63) ."و"أفواج الكومندوس مؤلفة أساسا من طلبة أو برجوازيين صغار. ولقد كان لحركة 26' جويلية 'الكوبية نفس التركيبة الطبقية (64)."إن دوبراي وكاسترو ينبهاننا من مغبة التسرع في الحكم هذه البرجوازية الصغيرة. لقد صفيت البروليتاريا بجرة قلم. لكن "سيكون من السذاجة أن نربط مصطلح' برجوازية صغيرة 'بنفس المعنى الذي كسبه في أوروبا(65) ." . وها قد أصبح الآن من الأيسر أن نفهم كيف أن" نضال تحرر وطني معاد

للإمبريالية لا يمكن أن يجري برعاية الماركسية-اللينينية والبروليتاريا في ظروف أمريكا اللاتينية". فلا العمال هم العمال، ولا البرجوازية الصغيرة هي البرجوازية الصغيرة!!

لقد كان للمؤتمر الشيوعي العالمي السادس نظرة مختلفة في هذا الموضوع:

> المثقفون البرجوازيون الصغار، الطلبة وغيرهم، هم غالبا الممثلون الأكثر حزما لا للمصالح الخصوصية للبرجوازية الصغيرة فحسب ولكن أيضا للمصالح الموضوعية العامة للبرجوازية القومية بأسرها. (المؤتمر الشيوعي العالمي السادس: أطروحات في الحركة الثورية في المستعمرات وأشباه المستعمرات، فقرة 20.)

لكن لنعطي دوبراي وكاسترو حقهما. ففي نظرهما يكف أولئك البرجوازيون الصغار عن كونهم كذلك إذا ما انتقلوا إلى منزلة الطليعة بتوفر شرط بعينه ألا وهو أن يتركوا المدينة ويسلكوا طريق الأنصار في الغابات. لقد تمادى دوبراي وكاسترو في منطق تفكيرهما حتى ماثلا البرجوازية بالمدينة والبروليتاريا بالريف. يقول كاسترو: "المدينة مقبرة الثوريين" (دوبراي: المصدر السابق، ص 160). "فعندما يتحدث الأنصار مع مرؤوسيهم في المدينة أو ممثليهم في الخارج فكأنما يحدثون برجوازيهم" (دوبراي: المصدر السابق). فـ"كل شخص، ولو كان رفيقا، يقضي حياته في المدينة فهو برجوازي رغم أنفه مقارنة برجل من الأنصار" (دوبراي: المصدر السابق) ويتساءل دوبراي وكاسترو: "كيف يمكن لحضري، حتى ولو كان ماركسيا-لينينيا، أن يقف على الأهمية الحيوية التي يكتسيها متر مربع من البلاستيك أو علبة مصبرات أو زوج من الأحذية"! (دوبراي: المصدر السابق، ص 161)

إذن، ها قد بلغنا مفتاح اللغز: يجب على البرجوازية الصغيرة أن تتبلتر! وكيف ذلك؟ بامتلاك الماركسية-اللينينية؟ كلا. بل بالعمل اليدوي... الفلاحي!!! "بتهيئة قطعة أرض في الغابة قصد تفليحها، بفلاحة الأرض جماعيا، والصيد جماعيا، الخ. فهذه الظروف المادية تؤدي ببؤرة الأنصار، حتما، إلى التبلتر أخلاقيا، وإلى بلترة إيديولوجيتها. فأن يكون أعضاء بؤرة الأنصار فلاحون أو برجوازيون صغار، فلا يمكنها أن تكون شيئا آخر غير جيش بروليتاري." (دوبراي: المصدر السابق، ص 52)

إذن، فنموذج الثوري الجيد ليس لينين أو ستالين، وإنما روبانسون كروزويه !فكأنما المرء يقرأ دليل الكشاف المثالي الذي ألفه بادن باول. إذ بلغ الأمر بدوبراي أن قال: "إن المحارب الريفي يتثقف ليلا ونهارا من خلال صلته بالعالم الخارجي." (دوبراي: المصدر السابق، ص 53) ما أجود هذا الشعر! ويا لسحر البداوة! وهل هنالك أعظم "تثقيفا" أكثر من أن يستنشق المرء ليلا هواء سلسلة جبال الآند !!أو أن يقول لنا: "الجبال تبلتر البرجوازيين والفلاحين. أما المدينة فيمكن أن تبرجز حتى البروليتاريين" (دوبراي: المصدر السابق، ص 167). ويمكن للمرء أن يتخيل مدى الحيرة التي سيكون عليها أنصار أفكار دوبراي وكاسترو في الأوروغواي، حيث ما من جبال عندهم. فأغلب الظن سيجدون أنفسهم محكوما عليهم بالتبرجز!

ورغم ذلك فقد حاول دوبراي وكاسترو تبرير كل ذلك الكلام الأجوف بحجج أكثر "استراتيجية "من قبيل أن "النضال المسلح الثوري غير ممكن التحقق إلا في الريف. أما في المدينة فإنه يتفسخ... ونعلم حجج تشي غيفارا الدامغة في هذا الموضوع: وجب الهجوم على الحلقة الأضعف. ويجب على بؤرة الانتفاض أن تحافظ لنفسها على مناطق حضرية كأكبر حلقات في السلسلة، أي هنالك حيث تتمركز كل أجهزة القمع والإدارة في الدولة".

نحن نعلم، بالفعل، ما غيفارا من "حجج دامغة" وعلى رأس تلك القائمة تجربته في بوليفيا. فقد ضل غيفارا جد بعيدا عن "أكبر حلقات السلسلة" ليستقر في مكان من بوليفيا غير آهل تقريبا حتى أنه لم تمضي بضعة أشهر حتى أصبح الأنصار، وقد أرهقتهم الخصاصة، لقمة سائغة عند " أجهزة القمع والإدارة في الدولة "التي استطاعت أن تعزز" حلقاتها الضعيفة". فلعهم كانوا أقل عقائدية من غيفارا ودوبراي وكاسترو !ولقد قامت الحكومة الأمريكية، مثلا، باصدار طبعة جديدة من كراس غيفارا "دليل حرب الأنصار" ، قصد تثقيف قوات مكافحة الأنصار، على كانت الصفحات اليسرى تتضمن نص غيفارا أما الصفحات اليمنى فتتضمن سبل مكافحة ما يقدم غيفارا!

دوبراي "ينظّر" ضد النظرية

يبدي دوبراي وكاسترو أعظم ازدراء للنظرية. وبكل ثقة في النفس، يخبرنا دوبراي بأن "فيدال لم يقم ولو باجتماع شعبي واحد في مناطق العماليات طوال عامين (74) ."ويفتخر بكون الأنصار الكوبيين "هم أول أنصار اشتراكيين لم يقروا نظام المفوضين السياسيين. لقد اتضح أن هذا االنظام لا يوافق واقع أمريكا اللاتينية(75) ."

من البديهي ألا يكون للثوريين في أمريكا اللاتينية اجتماعات شعبية سياسية ومفوضين سياسيين. فما أبعدهم عن البرجوازية الصغيرة الأوروبية في ذلك. فهم يتبلترون من خلال "الصلة بالعالم الخارجي" ! ومن الطبيعي ألا يختار دوبراي لنفسه مثل ذلك النظام. فما أبعد البرجوازية الصغيرة الأوروبية عن ذلك !وبالنسبة للثلاثي غيفارا ودوبراي وكاسترو فإن الخصائص الجسدية لرجل من الأنصار أهم بما لا يقاس من مؤهلاته الفكرية وثقافته السياسية. وكثير من الأنصار سعوا للتعلم والتثقف السياسي فنهرهم عن ذلك قادتهم. وقيل لهم سيكون أكثر فائدة إن "هيؤوا قطعة أرض في الغابة !"كان هنالك خوف من أن يفكر الأنصار في أطروحات لينين الشهيرة: «لا حركة ثورية دون نظرية ثورية»، و«لا يقوم بدور المناضل الطليعي إلا حزب مسلح بنظرية طليعية» (لينين: ما العمل؟، ص 29)، فيكتشفوا على ذلك النحو مدى كبر التحيل في الكاسترورية والغيفارتية!

دوبراي وكاسترو ينكران أيضا وبطبيعة الحال أي ضرورة للحزب. وهما يقومان بذلك لغرض انتهازي خالص. فهما لا يريدان أن يقطعا صلتهما بالأحزاب التحريفية فذلك سيدفع نحو تأليف أحزاب جديدة. وهما يجادلان خضوع الأنصار للأحزاب التحريفية وليس الحفاظ على الصلة بتلك الأحزاب. وعلى هذا النحو كانت حركة الأنصار في بوليفيا بقيادة غيفارا تابعة للحزب التحريفي من أجل التموين. وهذا الحزب هو الذي سلم غيفارا إلى قوات بارينتوس بموافقة من الروس لا شك فيها. (ولا يجب التقليل من مسؤولية دوبراي في اغتيال غيفارا. فقبل وفاته بمدة قصيرة كتب في مذكراته: أعتقد أن الفرنسي كان قد تمادى

في الحديث. أما كاسترو فقد حاول أن يزيح أية شبهة عن دوبراي من خلال مقدمته لمذكرات غيفارا عن بوليفيا، لكن دون جدوى.)

الكاسترويّة: مذهب الزعامة في أيامنا

لقد سعى دوبراي وكاسترو إلى تبرير نظرياتهم باستحضار "خصوصية" ظروف أمريكا اللاتينية وبالسعي إلى تقديم الكاسترويّة على أنها تطبيق "خلاق" للماركسية-اللينينية. لذا، يخبرنا دوبراي كيف أن "الكاسترويّة ما هي إلا مسار ملموس لانبعاث الماركسية-اللينينية من جديد من ظروف أمريكا اللاتينية ومن 'الظروف السابقة' لكل بلد. لذا، لن يكون لها نفس الوجه مرتان، في هذا البلد وذاك. ولن تتمكن من الانتصار إلا بالمباغتة... لأن الكاسترويّة، أو اللينينية المنبعثة والمطوعة للظروف التاريخية في قارة كان يجهلها لينين، إنما شرعت تصبح واقعا ملموسا للاستراتيجيات الثورية." (دوبراي: المصدر السابق، ص 68)

يتخذ دوبراي لنفسه هنا الأطروحة الانتهازية القديمة التي مفادها أن اللينينية لا تزيد عن كونها ظاهرة روسية خالصة. يقول ستالين:

> يقول البعض أن اللينينية هي تطبيق الماركسية على الظروف الخاصة بالوضع الروسي. ينطوي هذا التعريف على جزء من الحقيقة، لكنه أبعدُ من أنْ يقدمها كاملة. فقد طبق لينين، بالفعل، الماركسية على الواقع الروسي، ولقد قام بذلك على نحو خلاق. لكن لو أن اللينينية لم تكن سوى تطبيق الماركسية على وضع روسيا الخاص، لكانت ظاهرة قومية خالصة، وقومية لا غير؛ روسية خالصة، وروسية لا غير. بينما نعلم أن اللينينية ظاهرة عالمية، وليست روسية فحسب، لها جذور في كامل التطور العالمي. (ستالين: أسس اللينينية، مقدمة.)

اللينينية هي نظرية وتكتيك الثورة البروليتارية بوجه عام، نظرية وتاكتيك دكتاتورية البروليتاريا. إن اللينينية أنموذج تكتيك للجميع.

وكل ذلك مختلف عما عند دوبراي من "لينينية منبعثة" أو "لينينية موعودة". ويعترف دوبراي دون تواضع بأن الكاسترويةلا تزيد عن كونها "انبعاث" النزعة القومية القديمة "الموعودة". وهو يقول: "تثير الكاسترويةالخاصة بكل بلد بعينه، هذه 'الحماسة' الثورية في النضالات القديمة في سبيل الاستقلال الوطني... لقد قرأ فيديل مارتي قبل أن يقرأ لينين. وسيكون الكاستروي أو الوطني الثوري الفينيزولي قد قرأ مراسلات بوليفار قبل أن يكون قد قرأ كتاب «الدولة والثورة». تماما مثلما سيكون الكولمبي قد قرأ مشاريع دستور نارينو، الإكواتوري قد قرأ مونتالافو، والبيروفي قد قرأ مارياتاغي وأمعن الفكر في طوباق أمارو".(دوبراي: المصدر السابق، ص 68)

كما يربط دوبراي أيضا الكاسترويةبالبيروية والشعبوية في البرازيل في العقدين الثالث والرابع من القرن العشرين. وهما حركتان غازلتا الفاشية. وهو يقول: "لقد كانت أمتن صلات الكاستوية تلك التي كانت تربطها بأهم قوتين وطنيتين تاريخيتين في أمريكا الجنوبية: البيرونية في الأرجنتين والشعبوية في فارغا في البرازيل. لقد شرع هذان التياران الإيديولوجيان في التراجع بجدية حتى أنهما تركا فراغا شرعت الكاسترويةتسده شيئا فشيئا ".(دوبراي: المصدر السابق، ص 66)

لذا، فالكاسترويةهي البيروية "المنبعثة والموعودة".

لكن دوبراي يذهب إلى أبعد من ذلك. فهو يربط بين الكاسترويةونزعة الزعامة. "فما من حركة كاسترويةعلى نحو مجرد. وإنما هنالك، في كل بلد، قادة ثوريون يواصلون ممارسة تقاليد نزعة الزعامة التي لا تمحى، فيطبعون منظمة وطنية بطابعهم الخاص بعد أن يكونوا قد اجتازو إمتحانا أمام أعين جميع المقاتلين". (دوبراي: المصدر السابق، ص 41) إذن، كاسترو هو بانشو فيلا "منبعث وموعود".

إن دوبراي وكاسترو متأخران عصرا بأكمله. فهما ينشران في عصر الإمبريالية الأفكار الوطنية للثورات البرجوازية في القرن التاسع عشر. فهما بمثابة دون كيشوت وسانشو بانزا في ثورة أمريكا اللاتينية!

كان يمكن للمرء أن يكتفي بالضحك من هذه العصارة "النظرية" لو أن نتائجها لم تكن كارثية. (دوبراي: المصدر السابق، ص 59) لقد قادا آلافا وآلافا من ثوريي أمريكا اللاتينية إلى المسلخ. وأيديهم ملطخة بدماء أولئك المقاتلين الذين سقطوا في أيدي قوات القمع الأمريكية اللاتينية بقيادة الإمبريالية الأمريكية. لقد دفعهم كاسترو دفعا تحت الرصاص للدفاع عن المصالح الأنانية للبرجوازية "الحمراء" الكوبية. أما "العلاّمة" دوبراي فقد شق لنفسه طريقا نحو الإليزيه على جثثهم. لقد قدم دوبراي خدمات جليلة للإمبريالية الفرنسية. فهذه الأخيرة تود من كل قلبها أن تسير جماهير أمريكا اللاتينية تحت راية أمثال مارتي وبولفار، وليس تحت راية البرنامج البلشفي الحمراء. والإمبريالية الفرنسية مستعدة لمساندة "الحكومات الثورية" في أمريكا اللاتينية مثل الحكومة الصاندينية حتى تساعدها على الحفاظ على "استقلالها الوطني" عن الولايات المتحدة الأمريكية، مثلما ساندت هذه الأخيرة حركات التحرر في أمريكا اللاتينية، في مطلع القرن العشرين، ودافعت عن "استقلال" تلك البلدان "الوطني" عن إسبانيا. وفرنسا الإمبريالية بقيادة ميتيران ودوبراي لن تتردد ولو لحظة لتقدم المساعدة للبرجوازية الوطنية في تلك البلدان لسحق أية حركة ثورية تناضل في سبيل تركيز دكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية الثورية، لتغرق، في الدم، كل حركة يمكن أن تهدد مصالحها الإمبريالية. ومثلما لم يتردد دوبراي في تسليم غيفارا لقوات بارينتوس لينجو بنفسه.

القسم الثالث – وتظل البلشفية أنموذج تكتيك للجميع

لقد أوجز ريجيس دوبراي تقديره للكاستروية كما يلي: "إن ما نسميه بالكاستروية هو، تاريخيا، نشاط ثوري تجريبي ومنسجم وقد صادف الماركسية في طريقه كأنما صادف حقيقته." (ريجيس دوبراي: ثورة في الثورة، دار ماسبيرو، باريس، 1972، ص 35.)

وبالفعل، فالكاستروية حركة وطنية تجريبية صادفت "في طريقها" روسيا الإمبريالية كأنما صادفت "حقيقتها". ولقد تنبأ ستالين بأنه إذا ما نجح رأس المال في سحق جمهورية السوفييتات،

> ستكون هنالك مرحلة من الرجعية شديدة الظلام في جميع البلدان الرأسمالية والمستعمَرة. وسيُطبَق على أنفاس البروليتاريا والشعوب المضطهَدة، وستخسر الشيوعية العالمية مواقعها. (ستالين: اجتماع تنفيذية الأممية الشيوعية الموسع السابع، الأعمال الكاملة، مجلد 9، ص 28، الطبعة الأنجليزية)

وذلك ما وقع على وجه الضبط. فلم يقتصر التحريفيون الروس على أن يحرفوا بأنفسهم جميع أطروحات البلشفية بل ساندوا أيضا تحريفية فجة من طراز غيفارا وكاسترو وغيرهما. فقد سعوا إلى أن يضللوا الحركة البروليتارية بتزييف المواقف البلشفية ومن ضمنها تلك المتعلقة بالثورة في المستعمرات وأشباه المستعمرات والبلدان التابعة.

لقد قدّم لينين في المؤتمر الشيوعي العالمي الثاني توجيها مفاده ألا نساند، نحن الشيوعيون،

> حركات التحرر البرجوازية في المستعمرات إلا آذا ما كانت تلك الحركات ثورية حقا، ولا يعارض ممثلوها ما نقوم به بروح ثورية من تثقيف وتنظيم

> الفلاحين وأوسع جماهير المستغلين. (لينين: تقرير لجنة القضيتين القومية والاستعمارية، الأعمال الكاملة، مجلد 31، ص 249-250)

كما أكد أيضا على:

> ضرورة النضال بحزم ضد نزوع تيارات التحرر الديمقراطي في البلدان المتأخرة إلى التلحف بلحاف الشيوعية. (لينين: تقرير لجنة القضيتين القومية والاستعمارية، الأعمال الكاملة، مجلد 31، ص 249-250)

لكن القادة الروس قاموا، في حالة كوبا على وجه التحديد، بما يناقض رأسا تعاليم لينين عبر العمل على أن "يلتحف" أرهاط من قبيل كاسترو وغيفارا وغيرهما "بلحاف الشيوعية". ولقد استغلوا أيضا الثورة الكوبية ليقع تقبل تحريفهم للماركسية-اللينينية، وبالأخص أطروحاتهم في التعايش السلمي.

المرحلة الجديدة من الأزمة العامة في النظام الرأسمالي العالمي

لقد كانت الحركة الشيوعية العالمية، وإلى حد وفاة ستالين، ترى أن الأزمة العامة في النظام الرأسمالي العالمي كانت قد شهدت مرحلتين. بدأت أولاهما بإنتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى في سياق الحرب العالمية الاولى وتكون إتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية. أما المرحلة الثانية فقد تميزت بتكون المعسكر الاشتراكي مع نهاية الحرب العالمية الثانية، الذي تسبب في تفكك السوق العالمية الواحدة الكونية وتسبب لاحقا في تفاقم الأزمة العامة في النظام الرأسمالي العالمي.

لكن ندوة الواحد والثمانين حزبا" شيوعيا "و"عماليا "المنعقدة في موسكو في نوفمبر 1960 أعلنت أن "الأزمة العامة في الرأسمالية قد دخلت مرحلة جديدة". وأشارت إلى أن "هذه المرحلة الجديدة إنما تتميز بكونها لم تظهر على إثر حرب عالمية وإنما نشأت في ظروف التنافس والتصارع بين نظامين، والتغير المستمر في ميزان القوى لصالح الاشتراكية،

وتفاقم عنيف في جميع تناقضات الإمبريالية، وفي ظروف حيث النضال المظفر لقوى السلام في سبيل تحقيق وتمتين التعايش السلمي، كان قد منع قوى الإمبريالية من زعزعة السلام العام، وفي ظروف حيث يتصاعد نضال الجماهير الشعبية الغفيرة في سبيل الديمقراطية والتحرر الوطني والاشتراكية. (بيان الأحزاب الشيوعية والعمالية، نوفمبر 1960، ص 11)

إننا ندخل، حسب التحريفيين،" مرحلة جديدة"، مرحلة تعايش سلمي، لم تعد الحرب فيها أمرا حتميا ويمكن فيها للبروليتاريا أن تكسب السلطة بطريقة سلمية، وحيث من الممكن أن تنتصر الاشتراكية على النطاق العالمي بطريقة سلمية. إننا ندخل فعلا" مرحلة جديدة"، لكنها ليست مرحلة تفاقم الأزمة العامة في النظام الرأسمالي العالمي. فمع إعادة الرأسمالية في إتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية وفتح سوق الاتحاد السوفييتي سابقا للقوى الإمبريالية، والاستعاضة عن النضال حتى الموت بـ "التنافس" بين نظامين (أي المنافسة الرأسمالية)، ستشهد الأزمة العامة في الرأسمالية زمنا من التوقف.

ويكون، حسب التحريفيين"، من الممكن أيضا في تلك" المرحلة الجديدة "أن تنشأ ظروف لصالح" تكون دولة مستقلة ديمقراطية وطنية في العديد من البلدان". وهذه "الدولة المستقلة الديمقراطية الوطنية"، حسب التحريفيين، إنما هي دولة" تدافع دون كلل عن استقلالها الوطني". فهي دولة تنخرط في" طريق التطور غير الرأسمالي". ولقد خص بهذا المفهوم عدد معين من البلدان على وجه الحصر (كوبا، غينيا، غانا، مالي، أندونيسيا). لكن التجربة الكوبية هي التي كانت بمثابة أنموذج لصياغة ذلك المفهوم.

لقد كانت الحركة الشيوعية العالمية، تفضح الى حدود ذلك الوقت، زيف قيام دول مستقلة هي في الواقع أشباه مستعمرات للإمبريالية، وتدعو إلى دكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية الثورية كمرحلة في سبيل تركيز دكتاتورية البروليتاريا لانهاء صلة التبعية بالإمبريالية.

ولقد أكد المؤتمر الشيوعي العالمي السادس في البرنامج الشيوعي على أن:

إن خصوصية ظروف النضال الثوري في البلدان المستعمَرة وشبه المستعمَرة ومرحلة النضال الطويلة التي لا مفر منها في سبيل دكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية وفي سبيل تحولها إلى دكتاتورية بروليتارية، وأخيرا، الأهمية الحاسمة للعوامل الوطنية – كل ذلك يفرض على الأحزاب الشيوعية في تلك البلدان مهمات خصوصية مختلفة يجب أن يهيئ تحقيقها الطريق أمام دكتاتورية البروليتاريا. (المؤتمر الشيوعي العالمي السادس: برنامج الأممية الشيوعية، الفصل 4، فقرة 9)

يواصل المؤتمر الشيوعي العالمي السادس فيعدد أهم المهمات كما يلي:

1. قلب هيمنة الإمبريالية الأجنبية والإقطاعيين والبيروقراطية الزراعية؛

2. إرساء دكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية على أساس سوفييتات؛

3. الاستقلال الوطني التام وتكوين الدولة الوطنية؛

4. إلغاء ديون الدولة؛

5. تأميم مؤسسات الإمبرياليين الكبرى (صناعة، نقل، بنوك...)؛

6. حجز المزارع التابعة للمالكين العقاريين الكبار والكنائس والمؤسسات الدينية. تأميم الأرض؛

7. يوم عمل من ثمان ساعات؛

8. تنظيم جيش ثوري عمالي وفلاحي. (المؤتمر الشيوعي العالمي السادس: برنامج الأممية الشيوعية، الفصل 4، فقرة 9)

لكن التحريفيين يلقون بهذا البرنامج جانبا، وينحنون تحية لما تسمى" دول الديمقراطية الوطنية". فلا يوكلون للأحزب الشيوعية مهمة النضال في سبيل» دكتاتورية العمال

والفلاحين الديمقراطية الثورية وتحويلها إلى دكتاتورية البروليتاريا«، وإنما يوكلون لها مهمة النضال في سبيل" تنفيذ الثورة الديمقراطية المعادية للإمبريالية والمعادية للإقطاع لتركيز دول الديمقراطية الوطنية ." (بيان الأحزاب الشيوعية والعمالية، نوفمبر1960 ، ص 29)

فلا يجري الحديث أبدا عن«الإطاحة بالهيمنة الأجنبية الإمبريالية والإقطاع والبيروقراطية الزراعية»، وإنما هنالك حديث مبهم عن "نضال ضد الإمبريالية وتكتلاتها العسكرية ." (بيان الأحزاب الشيوعية والعمالية، نوفمبر1960، ص 28)

وليس هنالك حديث عن «حجز الضيعات التي على ذمة كبار المالكين العقاريين والكنيسة والأوقاف» و«تأميم الأرض»، وإنما هنالك حديث يصعب فهمه عن "إمكانية تحقيق إصلاح زراعي" و"انجاح مطالب أخرى في مجال التغييرات الديمقراطية والاجتماعية". ولم يعد يتعلق الأمر «بإلغاء ديون الدولة» و«تأميم المؤسسات الكبرى التابعة للإمبرياليين»، وإنما فقط" الحد من طرد الاحتكارات الأجنبية من الاقتصاد"، وأن يقع موازاة لذلك خلق "قطاع حكومي للاقتصاد الوطني مستقل عن الاحتكارات الأجنبية." (بيان الأحزاب الشيوعية والعمالية، نوفمبر1960 ، ص 28)

كما أن وجود أحزاب شيوعية لم يعد ضروريا لتكوّن تلك "الدول الديمقراطية الوطنية" وحتى للانتقال إلى الاشتراكية!!!

لقد كانت ضرورة وجود حزب شيوعي لانتصار الثورة، وتركيز دكتاتورية للبروليتاريا، وبناء الاشتراكية، دوما، بمثابة بديهية أساسية في الشيوعية. لكن لم تعد هذه الحقيقة سارية في "مرحلة" أولئك التحريفيين "الجديدة". فقد أصبح الآن من الممكن أن ننتقل إلى الاشتراكية رغم غياب الحزب بأن نعتمد على مثال كوبا. لقد ذهب "منظرو" الكرملن الجدد إلى أبعد حد في تحريف الماركسية عندما كتبوا كيف أن كوبا إنما كانت تطبق دكتاتورية البروليتاريا "دون وعي" !!! فهم يكتبون ما يلي: "إن تطبيق طرق دكتاتورية البروليتاريا سواء عن وعي أو دونه إنما كان الضمانة لنجاح النضال) في كوبا (رغم أن البروليتاريا لم تكن منسجمة في أولى مراحى الثورة." (ورد في: جاك ليفيسك: اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية والثورة الكوبية، ص 66)

لقد كانت" المرحلة الجديدة " بالفعل مرحلة التخلي عن جميع المواقف الشيوعية حتى الأكثر أساسية منها. فقد كانت" مرحلة "إعادة الرأسمالية في اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية، وتحويل بلد السوفييتات إلى بلد إمبريالي، وتحالف برجوازية الكرملن" الحمراء " مع البرجوازيات الوطنية في" دول الديمقراطية الوطنية المستقلة :"في أشباه مستعمرات الإمبريالية الروسية.

الحزبان الصيني والألباني مع الروس في نفس مستنقع "المرحلة الجديدة"

إن سنوات الظلمة الحالكة التي تبعت إعادة الرأسمالية في اتحاد الجمعوريات السوفييتية الاشتراكية ليس التحريفيون الروس هم المسؤولون لوحدهم عنها، وإنما أيضا أولئك الذي أعلنوا أيضا "معارضتهم" لأطروحات التحريفيين ليضعوا في الصدارة تقريبا نفس الأطروحات لكن بقناع أكثر" ثورية": إنهما الصين وألبانيا.

إن ما يجب إبرازه قبل كل شيء هو أن الحزب الشيوعي الصيني وحزب العمل الألباني كانا قد ساندا جهرا أطروحات المؤتمر العشرين التحريفية، لما أدرجا إمضاءهما أسفل بيان موسكو عام1957 وعام1960 . وها أن حزب العمل الألباني يحاول الآن أن ينفي تلك المساندة. لكنه أكد في مؤتمره الثالث، من ضمن أمور أخرى، كيف أن "ما طرح في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفييتي من قضايا اللينينية، وخاصة تلك المتعلقة بتطور الوضع العالمي الراهن، لها أهمية تاريخية كبيرة للإنسانية، وتمثل كنزا ثمينا يضاف إلى الماركسية-اللينينية في الظروف الملموسة للوضع العالمي الراهن. (المؤتمر الثالث لحزب العمل الألباني، ورد في: خطوط التمايز، عدد 15، ص 72.)

لاحقا، لما بدأت الصين وألبانيا خصومتهما مع التحريفيين الروس، لم تضعا أبدا موضع التساؤل تلك الأطروحات الروسية التي تنفي حتمية الحرب. لقد تضمن كتاب تاريخ الحزب البلشفي إيجازا لتعاليم لينين حول حتمية الحرب في عصر الإمبريالية كما يلي:

أوضح لينين أن التفاوت في تطور الرأسمالية يستفحل في ظروف الإمبريالية، كما تستفحل تناقضات الرأسمالية، وأن النضال في سبيل أسواق لتصدير البضائع ورؤوس المال، وفي سبيل المستعمرات ومنابع المواد الأولية، يجعل من المحتم وقوع حروب إمبريالية دورية في سبيل تقسيم العالم من جديد. (تاريخ الحزب البلشفي، ص 242، منشورات دار الفارابي، بيروت 1954.)

لكن هذه التعاليم لم تعد صالحة عند ماو والحزب الشيوعي الصيني. ولقد أعلن الحزب الشيوعي الصيني خلال جداله مع الروس: "إن الهدف الأول الذي كان يرمي إليه الرفيق ماو تسي تونغ عندما قال إن ريح الشرق سيهزم ريح الغرب، إنما عنى التأكيد على تعاظم إمكانية تفادي حرب عالمية جديدة وأن البلدان الإشتراكية ستكون قادرة على مواصلة بناء نفسها في محيط سلمي. لقد كانت مقترحات الرفيق ماو تسي تونغ تلك ولا تزال المفاهيم المنسجمة عند الحزب االشيوعي الصيني. لذا، يبدو بدهيا أن قادة الحزب السوفييتي يتعمدون طهي كذبة عندما يعلنون أن الحزب الشيوعي الصيني "لا يؤمن بإمكانية تجنب حرب عالمية جديدة." (خطان مختلفان في قضية السلم والحرب، ورد في: نقاش الخط العام للحركة الشيوعية العالمية، صحافة النجم الأحمر، لندن، 1976، ص 239.)

ويضيف الحزب الشيوعي الصيني: "إن إمكانية تجنب حرب عالمية جديدة فذلك أمر وأما إمكانية تجنب كل حرب بما في ذلك الحرب الثورية فذلك أمر آخر. وسيكون من الحطأ أن نخلط بين الإثنين". (خطان مختلفان في قضية السلم والحرب، ورد في: نقاش الخط العام للحركة الشيوعية العالمية، صحافة النجم الأحمر، لندن، 1976، ص 238.) (96)

إذن، فمن الواضح أن الخلاف بين الحزب الشيوعي السوفييتي والحزب الشيوعي الصيني، عندما انهار تحالفهما، لم يكن يتعلق بقضية حتمية الحرب، وإنما قام انشقاق بين الاشتراكية المسالمة الصريحة عند خروتشوف والتي تبشر "بعالم دون حروب" وما شابه ذلك من الكلام الأجوف، والنزعة السلمية" الثورية "عند الحزب الشيوعي الصيني بقيادة

ماو الذي أعلن أن الحرب لم تعد حتمية في ظل الإمبريالية طالما أن" الثورة "تستطيع تجنب الحرب. وإنه لأمر معلوم أن حديث ماو عن الثورة يظل ضبابيا فيما يتعلق بالمعنى الذي يعطيه لمصطلح" الثورة"، فهو يستخدم مصطلحا دون تحديد طبقي عوض مصطلح الثورة البروليتارية. لقد كان لينين يقول نقيض ذلك:

> علينا الآن أن نبيّن للبروليتاريا وللشعب بأسره عدم كفاية شعار الثورة، وأن نبيّن ضرورة تحديد محتوى الثورة تحديدا واضحا ولا لبس فيه ومنطقيا وحازما. (لينين :خطتان، الأعمال الكاملة، مجلد 9، ص 214)

ثم إننا إذا ما نظرنا مليا في الأمر لوجدنا أن الطريقة الوحيدة التي يمكن عبرها "أن تتجنب الثورة الحرب العالمية" إنما هي ثورة بروليتارية قادرة على الإطاحة بالامبريالية في جميع البلدان الإمبريالية الرئيسية. وحتى يكون ذلك ممكنا سيكون من اللازم الإطاحة بالإمبريالية في جميع البلدان في ذات الوقت. وما ذلك إلا نظرية الثورة الدائمة التروتسكية، اي انكار قانون التطور غير المتكافئ، وإمكانية انتصار الثورة في بلد واحد، أي إنكار النظرية اللينينية عن الثورة البروليتارية.

لقد تخلى القادة الصينيون اليوم عن إخفاء أي نزوع إمبريالي بقناع "ثوري". وأصبحوا يفضلون التحالف المكشوف مع القوى الإمبريالية الغربية وبالأخص الولايات المتحدة الأمريكية. في حين تواصل ألبانيا إشهار نظريات ماوية-تروتسكية تنكر حتمية الحرب الإمبريالية وتوهم البروليتاريا العالمية بإمكانية "تجنب الحرب" عبر "ثورات" فضفاضة. فقد كرر حزب العمل الألباني، في مؤتمره الأخير، اعلان انتمائه إلى السلم "الثوري"، مؤكدا أن "كل الأمور تدل على أن الحالة العالمية الراهنة حبلى باشتعال عام وحروب محلية، تماما مثلما هي حبلى بنضالات تحرر وثورات. وسيكشف تطور الأحداث إن كان بمستطاع الإمبريالية أن تقود العالم إلى كارثة جديدة، أم أن الشعوب ستمنع اندلاع الحرب لحماية الإنسانية". (حزب العمل الألباني: المؤتمر السابع، ص 173.)

لم يعارض الحزب الشيوعي الصيني وحزب العمل الألباني جوهر نظرة الحزب الشيوعي السوفيتي فيما يتعلق بدول الديمقراطية الوطنية. فإذا كانت الصين قد أبدت تلميحا إلى

ضرب من المعارضة فذلك لأن الروس كانوا يساندون الهند في نزاعها الحدودي مع الصين. فضلا عن كون الحزب الشيوعي الصيني كان وضع في الصدارة، ومنذ زمن طويل، محتوى مماثلا من خلال مفهومه عن "الديمقراطية الجديدة". أما حزب العمل الألباني فلا يتحدث أبدا عن دكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية الثورية.

لذا، لم تكن لا القطيعة بين الحزب الشيوعي الصيني وحزب العمل الألباني من جهة الحزب الشيوعي السوفيتي من جهة أخرى ولا القطيعة بين الحزب الشيوعي الصيني وحزب العمل الألباني، قطيعة حقيقية، بل كانت قطيعة "وسطية" ساهمت في تظليل الحركة الثورية.

لم نتعرض هنا، وبإيجاز، إلا لقضيتين هما حتمية الحرب ودكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية الثورية، لكن من الممكن أيضا تبيان خيانة كل من الحزب الشيوعي السوفييتي والحزب الشيوعي الصيني وحزب العمل الألباني في جميع القضايا الهامة في الثورة البروليتارية.

ولقد خسرت البروليتاريا الثورية مواقعها بالفعل. وبدأت مرحلة طويلة من "حرية النقد " رصدنا خلالها انبعاث "مائة مدرسة" وازدهار "نظريات جديدة" تهاجم في ذات الوقت ومن جميع الجهات مواقف البلشفية، تنضاف إليها طبعا الكاستروية والغيفارتية.

عوض أن ينتقد التحريفيون الروس النظريتين الكاستروية والغيفارتية كنظريتين برجوازيتين قاموا بنشرها وترويجها واستخدموها للتضييق على الماوية وخاصة في أمريكا اللاتينية. وأما القادة الصينيون فقد أحجموا عن مهاجمة النظريات الكوبية على نحو منهجي أملا منهم في الحصول في يوم من الأيام على مجال تفاهم مع القادة الكوبيين، لأنه كان من الصعب الانخراط في نقد منهجي للكاستروية وللغيارتية على قاعدة الماوية فللنظريتان ذات المفاهيم في عدة نواحي.

كوبا موطأ قدم عسكرية روسية سرية ضد الصين

لقد وقف القادة الروس سريعا على الفضائل التي يمكنهم استغلالها من الثورة الكوبية لمحاصرة النزوع إلى الانشقاق من جانب الصين. فمن الناحية النظرية كانت تقدم كوبا كحجة على كون التحريفيين الروس لا ينكرون ثورات عنيفة مظفرة رغم أنهم يضعون التعايش السلمي في الصدارة. كما استخدموا أيضا كوبا للتضييق على محاولات الصين تطوير تأثيرها في أشباه المستعمرات في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية. وفي هذا السياق يجب فهم انعقاد ندوة القارات الثلاث في جانفي 1966 في هافانا بفضل جهود روسيا داخل منظمة تضامن الشعوب الإفريقية والآسيوية.

لقد أصبحت منظمة تضامن الشعوب الإفريقية والآسيوية، منذ عام1963 ، الأطار المفضل للصدام الصيني–الروسي. ولقد كانت الصين تسعى إلى إخراج روسيا منها متعللة بمختلف الأسباب. أما روسيا فقد كانت تساند المبادرة الكوبية لعقد ندوة القارات الثلاث، سعيا منها للتضييق على التأثير الصيني في الحركة الإفريقية-الآسيوية، بتوسيع تلك الحركة حتى تشمل أمريكا اللاتينية وإعطاء كوبا دورا رياديا فيها. ولقد اتضح أن كاسترو في مستوى آمال أسياده الروس.

لذا، قام كاسترو، عند افتتاح ندوة القارات الثلاث، بإعلان مدو يرمي إلى تحييد الصين. وصرح على الملأ أن قد بلغه كيف أن المفاوضات التجارية مع الصين انتهت إلى أن هذه الأخيرة لن تمد كوبا بربع مليون طن من الأرز مثلما كان لها ذلك عام1965 ، وأنها ستقتصر في عام 1966 الجاري على 130 ألف طن فقط. وصرح كاسترو أيضا كيف أنه سينتج عن ذلك أن قسط المواطن الكوبي من الأرز سيتقلص. ولقد كان لتصريح كاسترو ذاك تأثيرا كبيرا على مختلف البعثات الحاضرة في ندوة هافانا. لذا، لم يكن غريبا أن تتبع تلك البعثات المثال الكوبي وأن ترفض مساندة جهود الصين لاتهام روسيا. (جاك لوفيسك: اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية والثورة الكوبية، ص 137.)

واصل كاسترو، إثر ندوة القارات الثلاث، هجومه على الصين على قاعدة مشكل الأرز، متهما إياها بالانخراط الفعلي في الحصار الأمريكي، ومستخدما ذات الحجج التي كانت تستخدمها الصين ضد روسيا. وإذا بكاسترو يعلن أن القضية لا تتمثل في بضعة أطنان من الأرز، وإنما في "أن القضية الأساسية تتمثل في معرفة ما إذا كانت البلدان القوية ستعتمد، في عالم المستقبل، حق الإبتزاز والمساومة والضغط والعدوان ضد البلدان الضعيفة." (جاك لوفيسك: المرجع السابق، ص 139.)

وليس على القادة الروس إلا أن يخفوا ضحكهم على الجميع.

لقد حاربت كوبا الأحزاب الماوية التي تألفت حديثا في كل بلد من بلدان أمريكا اللاتينية. ومثلما كنا قد ذكرنا، فقد كان الغرض من نشر كتاب ريجيس دوبراي، المعنون ثورة داخل الثورة، في جانفي1977 ، محاربة النظريات الماوية وبالتالي محاربة الأحزاب الصغيرة التي تروجها. كما أن الصين سعت لخلق انشقاق في الأحزاب التحريفية القديمة الموالية لروسيا عبر تأليف أحزاب جديدة" ماركسية-لينينية". وكان رد البرجوازية الروسية عبر كوبا التي تبشر بحركة الأنصار، هي حركة مرتبطة بالأحزاب التحريفية الموالية لروسيا.

هنالك بالفعل عدة نقاط مشتركة بين الكاسترية والماوية. فهما شكلان من المنشفية يبشران بتحالف الطبقات الأربع والخضوع للبرجوازية الوطنية. وكلاهما يبشر بالدور القيادي للبرجوازية الصغيرة. تماما كما حارب ماو وكاسترو "عبادة الكتب"، أي حاربا نظرية الماركسية-اللينينية، وكلاهما صاغ نظريات ضبابية حول منح الفلاحين أولوية، وحول محاصرة المدينة بالريف.

لم تحقق الفرق والأحزاب الماوية نجاحا في هجومها على الفرق الكاسترية من خلال الجهر بأسمائها. فقد كانت الفرق الموالية لكوبا تتمتع بما للثورة الكوبية من شهرة بين جماهير أمريكا اللاتينية واتضح أيضا أنهم أكثر نشاطا في حرب الأنصار. كما لم يكن في صالح الصين، وهي التي تحضر لتحالفها مع الإمبريالية الأمريكية في إطار صياغة نظريتها عن العوالم الثلاثة، أن تحرج حليفتها المستقبلية عبر تشجيع الكفاح المسلح الذي يعمل على طردها.

أما مساندة الصين نظام بينوشاي بعد انقلابه فقد فضحها نهائيا، هي والفرق الموالية لها، في أمريكا اللاتينية.

لا يمكن الاعتقاد أن حزب العمل الألباني كان له موقفا من كوبا أكثر انسجاما. وأنور خوجه يبوح لنا بأخص افكاره حول كاسترو وكوبا في كتابه "أفكار حول الصين". فهو يقول: "كيف يرى الرفاق الصينيون القضية الكوبية؟ ألم يحن الوقت بعد حتى يغيروا بعض الشيء من موقفهم الهش منها، مع الحفاظ في ذات الوقت على مبادئنا، خصوصا الآن وقد قام تناقض بين كاسترو والسوفياتيين ورأسماليي أمريكا اللاتينية فضلا عن الولايات المتحدة الأمريكية؟ نحن نعلم جيدا من هو كاسترو وما هي أفكاره وطموحاته وطرقه. لكن الواقع يفيد بأنه صامد بقدر معين وعلى طريقته الخاصة أمام السوفياتيين والأمريكيين في ذات الوقت ويدعو إلى' الثورة العالمية'. كاسترو لا ينظم إلى نظرتنا، ونحن بدورنا لا ننظم لنظرته بأي وجه من الوجوه. لكن إذا ما كانت أفكاره لا تؤثر فينا، فإن أفكارنا، عكس ذلك، يمكن أن تؤثر فيه. والواقع يفيد أن هنالك عدة مؤشرات تحملنا على الاعتقاد بأنه يريد الاقتراب منا وأنه في حاجة لنا. فهل يجب علينا أن نستمر في موقفنا الهش فلا نسلك سياسة مبدئية من شأنها أن تعمق التناقض بين كاسترو والسوفياتيين؟ كلا، أبدا. علينا أن نتحرك. وماذا سيفعل الصينيون حتى ننسق أنشطتنا في مثل هذه الأوضاع؟ من مجمل النشاط الفوضوي عند كاسترو، هنالك أمور بعينها لا يجب نسيانها، منها مثلا، صلابة معارضته للأمريكيين وصموده في مشكل الصواريخ وكفاحه في خليج الخنازير والخلافات الراهنة مع السوفياتيين. الأمر الأكيد أن كاسترو ليس نقيا، لكن لا يمكننا أن نقارنه ببعض القادة الكوبيين أو الرومانيين. إن كاسترو تملأه روح المقاومة. لذا نبذل الجهد حتى ندفعه في الاتجاه الجيد مستندين على تلك الخصائص في طبيعته لأن ذلك في مصلحة الثورة." (أنور خوجه: أفكار حول الصين: المجلد 1، ص 406-407)

إذن، لا يزال أنور خوجة، إلى حد عام 1967 أي بعد مضي عام على صدور كتاب "ثورة داخل الثورة" ، يرى، "مع الحفاظ على مبادئنا"، إمكانية الإقتراب من كاسترو هذا الرجل الذي "تملأه روح المقاومة"، و"دفعه نحو الإتجاه الجيد"!! ولعل هذا يبين لنا كثيرا ما لأنور خوجة من "مبادئ". وإنها لنفس المبادئ التي حملته إلى الدفاع عن القيادة

العسكرية الأرجنتينية خلال الحرب على جزر المالوين، وإلى الدفاع إلى اليوم عن النظام الدموي عند الخميني في إيران، وإلى القبول، منذ أكثر من ثلاثة أعوام، بعدم التشهير بسياسة فرنسا في إفريقيا مقابل أن تشتري فرنسا معدن الكروم من ألبانيا.

مغامرة كاسترو في إفريقيا

لقد استخدمت روسيا كوبا في مراميها التوسعية في إفريقيا. وكان اول عمل مذهل دون منازع تقوم به كوبا في إفريقيا هو تدخلها إلى جانب الحركة الشعبية لتحرير أنغولا. لكن لا بد من أن نشير إلى أن الوجود الكوبي في إفريقيا لم يبدأ مع الحرب الأنغولية. فقد كان لكوبا وقتئذ مدربين عسكريين أو فنيين في عدة بلدان إفريقية مثل الكنغو) برازفيل (وغينيا والجزائر والموزنبيق والصومال. كما حصلت بعثات من الحركة الشعبية لتحرير أنغولا وغيرها من الحركات الإفريقية على تدريبات عسكرية في كوبا.

لقد مكن التدخل الكوبي في أنغولا كاسترو من استعادة بريقه بعد أن انطفأ بسبب ركود الوضع في أمريكا اللاتينية. فبعد جملة كبيرة من الاخفاقات اتضح أن كاسترو إنما يلزمه نجاح قادر على التعبئة. ولقد كان النضال ضد نظام الميز العنصري في جنوب إفريقيا فرصة لا يجب التفريط فيها. ولقد استغل الروس وكاسترو واقعا مفاده أن قسما هاما من سكان كوبا من السود. وسيكون ذلك عند الروس بمثابة تعميق لتأثيرهم في إفريقيا، وهو عند كاسترو بمثابة تخفيف من حدة النزاعات العرقية المحتملة في كوبا نفسها. وليس من باب الصدفة أن حملت العملية العسكرية الكوبية اسم "عملية كارلوتا" تيمنا باسم عبد أسود استشهد في كوبا عام 1843 بعد أن قاد تمرد مجوعة من العبيد. وإذا بكاسترو يعلن حينها أن كوبا ليست بلدا أمريكيا-لاتينيا فحسب بل هي أيضا بلد "لاتيني-إفريقي". لذا، كان أيضا من آثار تدخل كوبا في أنغولا أن أبرز شعبية كوبا عند الدول التي يقطنها الكثير من السود من دول حوض بحر الكاريبي.

إن قضية العرق الأسود هي قضية عالية الأهمية عند جميع الشيوعيين الثوريين. ولقد كانت الأممية الشيوعية قد أعلنت فيما يتعلق بقضية السود في الولايات المتحدة الأمريكية كجزء من قضية عالمية:

> يجب أن يقع تناول قضية سود الولايات المتحدة الأمريكية في علاقة بقضايا السود ونضالاتهم في مناطق أخرى من العالم. فالعرق الأسود إنما هو عرق مضطهَد في كل مكان. وهو عرق تضطهَده الإمبريالية سواء تعلق الأمر بأقلية (لولايات المتحدة الأمريكية، وغيرها) أو أغلبية (جنوب إفريقيا) أو دولة مزعومة الاستقلال (ليبيريا، وغيرها). لذا، هنالك مصلحة مشتركة بين نضال السود الثوري في سبيل التحرر العرقي وفي سبيل التحرر الوطني في جميع أنحاء العالم ضد الهيمنة الإمبريالية. وستتكون حركة سوداء ثورية قوية في الولايات المتحدة الأمريكية وستكون قادرة على التأثير وقيادة الحركة الثورية في جميع المناطق حيث تضطهد الإمبريالية السود. (تنفيذية الأممية الشيوعية: قرار في قضية السود في الولايات المتحدة الأمريكية، 1928)

يجب على الشيوعيين الثوريين أن يأخذوا تعاليم الأممية الشيوعية تلك بعين الاعتبار في نشاطهم.

لا تتردد البرجوازية والإمبريالية في استغلال قضية السود لمصالحتهما الخاصة مثلما بين ذلك التدخل الكوبي في إفريقيا. وحتى الولايات المتحدة الأمريكية أمكن لها، بقدر معين، أن تستغلها لصالحها. وإذا بالسيد أندراو يونغ (أسود) سفير الولايات المتحدة الأمريكية في منظمة الأمم المتحدة يصرح بأن لكوبا دور حفظ الاستقرار في انغولا! فمما لا شك فيه أنه كان يشير إلى مصالح شركة غولف أويل (Gulf Oil) غير المؤممة في إقليم كابيندا (Cabinda) والتي ظلت تشتغل في حماية القوات العسكرية الكوبية!

لقد كللت "عملية كرلوتا" بنجاح تثبّت من سعته كاسترو بنفسه خلال جولة نصر قام بها في إفريقيا في ربيع 1977. لكن الأمور الكوبية في إفريقيا تعكرت لاحقا، خاصة خلال التدخل في أثيوبيا. ففي هذه الحالة لم يكن النظام مهددا من جانب أطماع دول مثل جنوب

إفريقيا وإنما من جانب حركات انفصالية إحداها يسندها الصومال والذي هو بدوره حليف للروس، أما الحركة الأخرى وهي الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا فكانت تناصر الثورة الكوبية !لذا، اتضحت حقيقة دور القوات العسكرية الكوبية: قوات تدافع عن مصالح الإمبريالية الروسية. الهزائم العسكرية والثقل الاجتماعي والمالي الذي يمثل انخراط كوبا العسكري في إفريقيا، بدأ استشعاره وشرع يثير غضبا متعاظما بين الجماهير الكوبية وخاصة بين جماهير السود الذي كانوا يتحملون أعظم قسم من ذلك العبء ويحسون، أكثر فأكثر، بالظلم الذي كانوا ضحيته. لذا، انقلب التدخل الكوبي في إفريقيا ضد القادة الكوبيين والإمبرياليين الروس. فقد ساهم في كشف أمر كاسترو وبين كيف أن روسيا بلد إمبريالي.

لنفضح الكاسترووية، لنرد الاعتبار للبلشفية!

إن الصورة التي ترسم كوبا الثورية وهي تبني الاشتراكية قد اهترأت بمرور الأعوام. فبقاء الاقتصاد قائما على تصدير المواد الاولية لا يجعل من كوبا أنموذجا في التطور الاقتصادي وبديلا لتأخر بلدان أمريكا اللاتينية شبه الاستعماري. وعلاوة على ذلك، فإن الأزمة الاقتصادية تضرب الاقتصاد الكوبي بذات القدر الذي تضرب به غيره من الاقتصاديات الرأسمالية. وهو ما يبرهن على أن كوبا لا تزال حلقة من حلقات السلسلة الإمبريالية. ورغم كل ذلك، لا يزال الكثير من العمال والفلاحين في أمريكا اللاتينية وفي مناطق أخرى من العالم يصدقون ما يعلنه المنظرون الكوبيون الذي يعملون على تقديم الصعوبات الراهنة على أنها "عرضية" وعلى تقديم كوبا كأمل.

ليست الكاسترووية والغيفارتية نظريتين ثوريتين. ولا تصمدان أمام نيران النقد النظري أو العملي. وأينما طبقتا إلا وسارتا بالحركة الثورية في طريق مسدود، إلى فشل. ورغم ذلك لا يزال مئات الثوريين في أمريكا اللاتينية، إلى اليوم، يؤسسون نشاطهم على هذه النسخة" المحسنة" أو تلك من تينك النظرتين.

لقد برهن النظام الكوبي، عمليا، على أنه لا يكترث إلا لمصلحته الخاصة أو لمصلحة أسياده الإمبرياليين، وإن جرى كل ذلك تحت يافطة "أممية"، سواء تعلق الأمر بخيانة مصالح عمال وفلاحي أمريكا اللاتينية والتحالف مع الأحزاب التحريفية في تلك البلدان أم بمساندة أنظمة فاشية كالقيادة العسكرية الأرجنتينية أو تعاونه مع الحكومة العسكرية المؤقتة في أثيوبيا لاضطهاد عمال وفلاحي هذا البلد أو سحق الحركة الوطنية الإيريترية. ورغم كل ذلك لا يزال الكثير من الأمميين يترددون في فضح التدخلات الكوبية مثلما يقومون بذلك بالنسبة لتدخلات القوى الغربية. لماذا؟

أولا، لا يزال في صفوف الجماهير المضطهدة عطف كبير على الثورة الكوبية ومعارضتها الحازمة للإمبريالية الأمريكية، وهو عطف إنما يستغله القادة الكوبيون صالحهم بديماغوجيا قوية.

ثانيا، أمكن لكاسترو وجماعته أن يستفيدوا من التشوش الهائل داخل الحركة الشيوعية العالمية الذي نشأ منذ اغتيال ستالين وتحريف مبادئ الماركسية-اللينينية على أيدي كل من خروتشوف وماو وخوجه.

لكن اليوم يزداد الشيوعيون الثوريون عبر العالم الذين اقتنعوا بالإفلاس التام لهذه التيارات التي تزعم أنها شيوعية سواء كانت موالية لروسيا أو ماوية أو موالية لألبانيا، وتوصلوا إلى ضرورة الرجوع إلى دروس ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى وإلى إرث لينين وستالين والأممية الثالثة. إن الحرب الوشيكة تدفع الشيوعيين الثوريين، أكثر فأكثر، إلى الاقتناع بضرورة أن يعدوا أنفسهم، منذ اليوم، لتحويل هذه الحرب إلى حرب أهلية ضد البرجوازية في البلدان الإمبريالية وإلى حروب وطنية ثورية ضد الإمبريالية في المستعمرات وأشباه المستعمرات والبلدان التابعة. لذا، سيكون من المهم ألا يسقط الشيوعيون الثوريون في العفوية وإنما أن يطبقوا تعاليم لينين في المؤتمر الشيوعي العالمي الثاني إذ دعا شيوعيي العالم أجمع إلى:

> ضرورة أن يذودوا، في جميع الأحوال، عن استقلالية الحركة البروليتارية حتى وإن كانت في شكلها الجنيني. (لينين: مؤتمر الأممية الشيوعية الثاني، الأعمال الكاملة، مجلد 31، ص 249.)

ولا يعنى ذلك أنه سيكون للشيوعيين الثوريين انتصارات فورية. ولقد كان ستالين يكرر كيف أن:

> لا تؤدي السياسة الصحيحة إلى انتصار فوري على العدو دوما وبالضرورة. فالانتصار الفوري على العدو لا تحدده سياسة صحيحة فحسب بل أيضا وفي المقام الأول وعلى الأخص ميزان القوى الطبقية وهيمنة قوى الثورة هيمنة بيّنة وتشتت معسكر العدو ووضع عالمي ملائم. إن سياسة صحيحة تسلكها البروليتاريا لا تؤدي إلى انتصار فوري إلا في تلك الظروف. لكن الالتزام بسياسة صحيحة على الدوام وفي جميع الظروف إنما هو مطلب ضروري. إن هذا المطلب يقضي أن تنمي سياسة الحزب القدرة الكفاحية عند البروليتاريا، وأن تضاعف صلاتها بالجماهير الشغيلة، وأن تعلي نفوذ البروليتاريا بين الجماهير، وأن تضمن هيمنة البروليتاريا في الثورة. (ستالين: ملاحظات في مواضيع راهنة)

وحتى يدعم ستالين قوله المذكور آنفا، قدم مثال ثورة 1905 في روسيا حيث منيت الثورة بهزيمة رغم امتلاك البلاشفة سياسة صحيحة، لأن بقايا الإقطاع والأتوقراطية كانت أقوى من الحركة الثورية البروليتارية. لكن رغم هزيمة الثورة كان الحزب البلشفي قد نجح، بفضل سياسته الصحيحة، في أن

«تنمي سياسة الحزب القدرة الكفاحية عند البروليتاريا، وأن تضاعف صلاتها بالجماهير الشغيلة، وأن تعلي نفوذ البروليتاريا بين الجماهير، وأن تضمن هيمنة البروليتاريا في الثورة». لذا، سيكون من السهل أن نتصور كم سيكون الوضع مختلفا اليوم، لو كانت توجد، زمن الثورة الكوبية عام1959 ، قوى شيوعية حقيقية تمتلك خطا صحيحا يضمن " استقلالية الحركة البروليتارية حتى وإن كانت في شكلها الجنيني". ومما لا شك فيه أنه لن يكون

بمستطاعها، وقتئذ، أن تضمن هيمنة البروليتاريا على الثورة، وإنما سيكون بمستطاعها أن تضمن تطورها فيقع تجنب اخضاع مصالح البروليتاريا لمصالح البرجوازية الوطنية الذي جرى لاحقا. ونتيجة لذلك فقد تكبدت الحركة نتائج كارثية.

ان للشيوعيين الثوريين في أمريكا اللاتينية وبالأخص منهم اولئك الذين هم منخرطون في النضالات الجارية مثلما هو الحال في أمريكا الوسطى، مسؤولية متميزة. فهم يمثلون مركز اهتمام كل الذين يهمهم تطور الحركة الثورية. ويمكنهم أن يستخدموا ما لهم من منابر حاليا حتى ينتقدوا الخط الكاستروي على قاعدة ممارسته نفسها ورد الاعتبار للخط البلشفي، فيقومون على ذلك النحو بأولى الخطوات حتى «تنمي سياسة الحزب القدرة الكفاحية عند البروليتاريا، وأن تضاعف صلاتها بالجماهير الشغيلة، وأن تعلي نفوذ البروليتاريا بين الجماهير، وأن تضمن هيمنة البروليتاريا في الثورة». ولا يعني ذلك أبدا أن على الشيوعيين أن ينعزلوا عن المسار الثوري الجاري حاليا قصد "تطوير النظرية" أو"بناء الحزب". فقد بين لينين كيف أن:

> وفي بعض المراحل التي تشهد أزمات اقتصادية وسياسية حادة، يبلغ النضال الطبقي، في مجرى تطوره، حربا أهلية حقيقية، أي يبلغ صراعا مسلحا بين قسمين من السكان. ويجب على الماركسي في مثل تلك المراحل، أن يقف إلى جانب الحرب الأهلية. وكل شجب معنوي للحرب الأهلية غير مقبول إطلاقا من وجهة النظر الماركسية. (لينين: حرب الأنصار، فقرة 3.)

إذن، يتضح أن ما يواجهه الماركسيون-اللينينيون في أمريكا اللاتينية من مهمات إنما هي مهمات معقدة على نحو متميز. لكن المعارك الثورية المنخرطين فيها إنما هي مقدمة لمعارك أوسع. إن الإمبريالية تحتضر. وتقترب الساعة التي سنرى فيها تحالف الجبهة البروليتارية في البلدان الاحتكارية الإمبريالية والجبهة الوطنية الثورية في المستعمرات وأشباه المستعمرات والبلدان التابعة. لكن لصهر هذه الجبهة وإقامة هذا التحالف ضد الإمبريالية ولتركيز هيمنة البروليتاريا يجب فضح القادة الكوبيين ورمي نظرياتهم القذرة في مزبلة التاريخ.

يمكن الاطلاع على المراجع الشيوعية المعتمدة في هذا الكراس الخاصة بستالين والأممية الشيوعية من خلال صفحتنا طريق البُلشفية على الأنترنت على هذا الرابط

CUBA

LE GOÛT AMER D'UNE RÉVOLUTION SUCRÉE